هدى الثقلين

تصدر عن دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

مجازة من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

معتمدة لأغراض الترقية العلمية

السنة الثانية/ المجلد الثاني/ العدد (٤)

شهر جمادى الآخرة ١٤٤٧هـ - كانون الأول ٢٠٢٥م

جُمْهُورِيَّةُ العِرَاقِ
دِيوَانُ الوَقْفِ الشِّيعِيِّ
الأَمَانَةُ العَامَّةُ لِلْعَتَبَةِ الحُسَيْنِيَّةِ المُقَدَّسَةِ

هَدْيُ الثَّقَلَيْنِ

مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ نِصْفُ سَنَوِيَّةٍ مُحَكَّمَةٌ تُعْنَى بِتَفْسِيرِ النَّبِيِّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ
(صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِم) لِلْقُرْآنِ الكَرِيـــــم
تَصْدُرُ عَنْ دَارِ القُرْآنِ الكَرِيمِ فِي العَتَبَةِ الحُسَيْنِيَّةِ المُقَدَّسَـــةِ
مُجَازَةٌ مِن وِزَارَةِ التَّعْلِيمِ العَالِيّ وَالبَحْثِ العِلْمِيِّ
مُعْتَمَدَةٌ لِأَغْرَاضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيَّةِ

التَّرْقِيمُ الدَّوْلِي: ISSN:3005-415x

العِنْوَان: العِرَاق – كَرْبَلَاء المُقَدَّسَة – دَار القُرْآنِ الكَرِيمِ فِي العَتَبَةِ الحُسَيْنِيَّةِ المُقَدَّسَةِ

رَقْمُ الإِيدَاعِ فِي دَارِ الكُتُبِ والوَثَائِقِ العِرَاقِيَّةِ ٢٧١٥ لِسَنَةِ ٢٠٢٤م

لِلمَعْلُومَاتِ والاتِّصَال: ٠٧٧٣٥٣٠٠٨٣٥

البَرِيدُ الإِلِكتْرُونِي: hudaalalthaqalein@gmail.com

تَسْتَقْبِلُ مَجَلَّةُ (هَدْيُ الثَّقَلَيْنِ) البُحُوثَ الأَكَادِيمِيَّةَ الرَّصِينَةَ غَيرَ المَنْشُورَةِ، بِاللُّغَتَيْنِ العَرَبِيَّةِ والإِنْكِلِيزِيَّةِ.

بطاقة الفهرسة

BP130 .A82 2024 VOL. 1 NO. 0

العتبة الحسينيَّة المقدَّسة (كربلاء، العراق) دار القرآن الكريم.

هَــدِي الثقلين: مجلَّة علميَّة نصف سنويَّة محكَّمة تُعنى بتفسير النبي وأهل بيته (صلوات اللَّه عليهم) للقرآن الكريم/ تصدر عن دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة – كربلاء، العراق: العتبة الحسينيَّة المقدَّسة، دار القرآن الكريم، ٢٠٢٥م/ ١٤٤٧ للهجرة.

مجلَّد: ٢٤سم – نِصف سَنويَّة، السَّنةُ الثَّانية، المُجَلَّد الثَّاني، العَدَد (٤)، شَهر جُمَادَى الآخِرَة ١٤٤٧هـ – كَانُون الأوَّل ٢٠٢٥م.

(العتبة الحسينيَّة المقدَّسة؛ ١٣٥٧)، (دار القرآن الكريم).

يَتَضمَّن إرجاعات ببليوجرافية.

تصدر المجلة باللغتينِ العربيَّة والإنجليزيَّة.

١ .القرآن– تفسير الشيعة الإماميَّة– دوريات.

٢ .القرآن تفاسير مأثورة (الشيعة الإماميَّة)– دوريات.أ.العنوان.

تمَّت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة.

تَنْويهٌ:

الأَفْكَارُ وَالآرَاءُ الوَارِدَةُ فِي أَبْحَاثِ هَذِهِ المَجَلَّةِ تُعَبِّرُ عَن وِجْهَةِ نَظَرِ كُتَّابِهَا وَلَا تُعَبِّرُ بِالضَّرُورَةِ عَن وِجْهَةِ نَظَرِ العَتَبَةِ الحُسَيْنِيَّةِ المُقَدَّسَةِ.

قصيدة تؤرخ فيها مجلة هدي الثقلين وهي مجلة علمية
نصف سنوية محكمة تعنى بتفسير النبي وأهل بيته
صلوات الله عليهم للقرآن الكريم، صدرت عن دار القرآن
الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

سفر جميل وربت مثل السنا ... عند الحسين في الطفوف صدرت
في طيها كل تفاسير الهنا ... وهي بقول الآل حقا هدرت
آراؤها مزبورة فيها الغنى ... سلسالها العلم ومنه انتشرت
ميدانها الآي ومنها قد دنا ... واستبقت باب الهدى إذ شمرت
من دار قرآن كريم يحوينا ... بالخير والقول الجميل قد سرت
والليل ولى بل أصيب بالفنا ... أستاذه قد مزقت وانثرت
يا حسنها كل إليها أذعنا ... حين إليها كل عين نظرت
ها قد أناخت ركبها الغالي هنا ... فازدهرت أبوابها بل أثمرت
فاليوم عند السبط إذا أقصى المنى ... أرخ: هدى الثقلين صدرت

علي الصفار الكربلائي

١٤٤٤هـ

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم الشؤون العلمية

No.: ١٨٤٣/٤٠٧
Date: ٢٠٢٤/٩/١٦

ديوان الوقف الشيعي / الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

م/ مجلة هدى الثقلين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اشارة الى كتابكم ذي الرقم ح٢٥١٤٩/٣٩ بتاريخ ٢٠٢٤/٤/٢٧ بشأن استحداث واعتماد مجلتكم لأغراض النشر والترقيات العلمية وتسجيلها ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية وبعد استكمال الملاحظات الخاصة بضوابط الاستحداث بموجب كتابكم المرقم ح٤٧٧١٢/٣٩ في ٢٠٢٤/٨/٢٧، حصلت الموافقة بتاريخ ٢٠٢٤/٩/٨ على أعتماد المجلة المذكورة في الترقيات العلمية والنشاطات العلمية المختلفة الاخرى واعتباراً من المجلد الاول - العدد الاول - كانون الثاني لسنة ٢٠٢٤ لتسجيل المجلة في موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية.

للتفضل بالاطلاع وابلاغ مخول المجلة لمراجعة دائرتنا لتزويده باسم المستخدم وكلمة المرور ليتسنى له تسجيل المجلة ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية وفهرسة اعدادها ، ويعتبر ذلك شرطاً اساسياً في اعتمادها بموجب الفقرة (٣١) من ضوابط الاستحداث واصدار المجلات العلمية في وزارتنا.

...مع وافر التقدير

ا.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٤/ ٩ / ١٦

نسخة منه الى:
- مكتب السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ اشارة الى موافقة سيادته بتاريخ ٢٠٢٤/٩/٨ على أصل مذكرتنا المرقمة ب ت م٦٧٩٢/٤ في ٢٠٢٤/٩/٨/ للتفضل بالاطلاع ...مع التقدير.
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والترجمة و النشر.... مع الاوليات
- الصادره

مهند ابراهيم
١٠/ أيلول

رئيس التحرير

أ. د. هاشم جعفر حسين الموسوي

اللغة العربيَّة – اللغة والنحو

جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الإنسانيَّة/ العراق

مدير التحرير

أ. م. د. عمَّار حسن عبد الزهرة/ اللغة العربيَّة – لسانيات

وزارة التربية/ مديريَّة تربية كربلاء/ العراق

مدقق النصوص العربية

د. عماد طالب موسى

مدقق النصوص الانكليزية

م.م إباء الدين حسام عباس

العلاقات والتنسيق والإعلام

الأستاذ علي فضيلة خضير الشمري

هيأة التحرير

م. د. الشيخ خير الدِّين علي الهادي

رئيس دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيَّة/ العراق

اللغة العربيَّة – لسانيات

أ. د. حميد عبد جواد النَّجدي

رئيس جامعة أهل البيت عليهم السلام _ العراق.

أ.د. مكي محي عيدان الكلابي

اللغة العربية _ دلالة

جامعة كربلاء/ كلية التربية/ العراق

أ. د. ضرغام كريم كاظم الموسوي

الفقة وأصوله

جامعة كربلاء/ كليَّة العلوم الإسلاميَّة/ العراق

أ. د. سامي ماضي إبراهيم الربيعي

اللغة العربيَّة _ نحو ودلالة

الجامعة المستنصريَّة/ العراق

أ. د. لطيفة عبد الرسول عبد علي الضايف

اللغة العربيَّة _ نحو ودلالة

الجامعة المستنصريَّة/ العراق

أ. د. عبد الإله عبد الوهاب العرداوي
اللغة العربيَّة وآدابها _ أدب إسلامي
جامعة الكوفة – كليَّة التربيَّة الأساسيَّة/ العراق

أ. د. عبد الحميد مدكور
الأمين العام لمجمع اللغة العربيَّة في القاهرة
الفلسفة الإسلاميَّة/ جامعة القاهرة/ مصر

أ. د. عيسى علي عاكوب
عضو مجمع اللغة العربية/ دمشق- سوريا

أ. د. غازي مهدي جاسم الشمري
الفكر الإسلامي وتأريخ الحضارة العربية
جامعة وهران/ الجزائر

أ. د. محمد رضا ستود هنيا
علوم القران والحديث
كلية الإلهيات ومعارف أهل البيت عليهم السلام جامعة
أصفهان/ إيران

أ. م. د. محمَّد عبد الحسن كاطع
تاريخ الحضارة الإسلاميَّة
جامعة المصطفى العالميَّة/ فرع العراق

أ. م. د. سحر ناجي فاضل المشهدي
دلالة ونحو
الكليَّة التربويَّة المفتوحة في النجف الأشرف/ العراق

م. د. حيدر فاضل عباس العزاوي
اللغة العربيَّة_ لسانيات
وزارة التربية/ مديريَّة تربية كربلاء

التصميم والإخراج الفني
الحسن ميثم عزيز

قواعد النشر في المجلَّة:

تستقبل هديُ الثَّقلينِ البحوث والدراسات الرصينة على وفق القواعد الآتية:

١. يشترط في البحث أن يكون مكتوبًا على وفق منهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالميًا .

٢. أن يكون البحث منسجمًا مع المجال المعرفي الذي ترعاه المجلة وتوجهها في نشر الأبحاث التي تختصُّ بتفسير النبي وأهل البيت عليهم السلام للقرآن الكريم .

٣. أن لا يكون البحث منشورًا في مجلَّة، أو مقدّمًا إلى أيَّة وسيلة نشر أخرى، أو مستلًّا من كتابٍ أو رسالةٍ جامعيَّة، أو محمَّلًا على الشبكة العنكبوتيَّة.

٤. أن يكون البحث مبتكرًا في موضوعه، يُعالج قضايا تفسيريَّة مُهِمَّة تتلاءم مع المعطيات المعاصرة للحاجات المعرفيَّة.

٥. يقدَّم البحث مطبوعًا على ورق A4، وبنسخةٍ إلكترونيَّة على قرص مدمج(CD)، أو يُرسل على البريد الإلكتروني، على أن لا يتجاوز ما هو متعارف عليه علميًّا بحدود (٥٠٠٠ – ١٠٠٠٠) كلمة، وبخط Simplified Arabic مع احتفاظ الباحث بنسخة الأصل.

٦. أن يحتوي البحث على ملخَّص باللغة العربية، وآخر باللغة الإنكليزية، كلّ في حدود صفحة مستقلة على أن يحتوي ذلك عنوان البحث، ويكون الملخص بحدود (٣٥٠) كلمة، مع مقدِّمة ومباحث ونتائج، وفهرس مفصَّل بالمصادر.

٧. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على اسم الباحث/ الباحثين، وعنوانه/ عناوينهم وجهة العمل، والعنوان الوظيفي، ورقم الهاتف، والبريد الإلكتروني مع مراعاة عدم ذكر اسم الباحث أو الباحثين في مَتن البحث أو أي إشارة إلى ذلك .

٨. يزوَّد البحث بقائمة المصادر والمراجع منفصلة عن الهوامش، وفي حالة وجود مصادر ومراجع أجنبية تُضاف قائمة خاصَّة بها عن قائمة المراجع والمصادر العربيَّة، ويراعي في إعدادهما الترتيب الألفبائي لأسماء الكتب أو البحوث في المجلَّات.

٩. تُطبع الجداول والصور واللوحات على أوراق مستقلّة ويُشار في أسفل الشكل إلى مصادرها، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن .

١٠. إرفاق نسخة من السيرة العلميَّة إذا كان الباحث ينشر في المجلَّة للمرَّة الأولى، وعليه أن يشير إلى اسم أيَّة جهة علميَّة، أو غير علميَّة قامت بتمويل البحث، أو المساعدة في إعداده.

١١. تخضع البحوث المقدَّمة للنشر لتدقيق نسب الانتحال في ضوء أحد البرامج المعتمدة، والأنظمة المقرَّة من لدن وزارة التعليم العراقيَّة.

١٢. تحتفظ هيأة التحرير بحقِّ حجب نشر البحث الذي لا ينسجم مع سياسة المجلَّة في نشر تفسير النبي وأهل البيت عليهم السلام للقرآن الكريم حصرًا، أو ما لا يتوافق مع منهج البحث العلميّ أو الموضوعيّ، أو ما فيه مسٌّ لجوهر العقائد الإسلاميَّة ورموزها الفكريَّة والدينيَّة .

١٣. تعبِّر الأفكار المنشورة في المجلَّة عن آراء كاتبيها، ولا تعبِّر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنيَّة صرفة.

١٤. تخضع البحوث لتقويم سري لبيان صلاحيَّتها للنشر، ولا تُعاد البحوث إلى أصحابها سواء أُقبِلَت للنشر أم لم تقبل، وعلى وفق الآليَّة الآتية:

أ- يبلغ الباحث بتسليم المادة المرسلة للنشر.

ب- ثمَّ يُشعر أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيأة التحرير على نشرها بعد إخضاعها إلى تقييم سري من ذوي الاختصاص.

جـ- البحوث التي يرى المقوِّمون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها، مع الملاحظات المحددة لكي يعملوا على التعديل في ضوئها، ثمَّ بعد ذلك تُرسل للنشر.

د- البحوث المرفوضة يبلغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

هـ- يشترط في قبول النشر موافقة خبراء الفحص.

١٥. ترسل البحوث على البريد الإلكتروني للمجلّة:

hudaalalthaqalein@gmail.com

أو تُسَلَّم مباشرةً إلى مقر المجلة على العنوان الآتي:

كربلاء المقدسة – العتبة الحسينية – دار القرآن الكريم

سياسة النشر

تستقبل مجلَّة (هدي الثقلين) مشاركاتكم من الأبحاث الرصينة، والدِّراسات المبتكرة والبحوث العلميَّة الناتجة عن الندوات والمؤتمرات باللغتين العربيَّة والإنكليزيَّة؛ على وفق سياسة النشر الخاصَّة بها والمتمثِّلة بالآتي:

١- مجلَّة (هدي الثقلين) مجلَّة دورية مُحكَّمَة نصف سنوية.

٢- المجلَّة مختصَّة بنشر الأبحاث المختصَّة بتفسير النبيّ صلى الله عليه وآله وأئمَّة أهل البيت عليهم السلام.

٣- تحتفظ المجلَّة بحقوق النشر والطبع كافَّة، وآراء المؤلِّفين الواردة جميعًا في البحث أو المادة العلميَّة تعبِّر عن وجهة نظرهم، ولا تُعَدُّ المجلَّة مسؤولة عنها بالضرورة؛ استنادًا لمبدأ استقلاليَّة الرأي.

٤- المجلَّة غير ملزمة بردِّ أصول البحوث سواء نشرت أم لم تنشر، وفي حال سحب البحث من لدن الباحث فعليه الالتزام بردِّ تكاليف التحكيم وتكاليف برنامج الانتحال.

٥- أولويَّة نشر البحوث بحسب أسبقيَّة الحصول على قبول النشر، ويستثنى من ذلك البحوث ذات السبق العلميّ والمادَّة المبتكرة بعد ترشيح من هيأة التحرير.

٦- يشترط بالمادة العلميَّة المراد نشرها بالمجلَّة، أن لا تكون قد سبق نشرها في مجلَّة أو دوريَّة أو مؤتمر علميّ، بتعهد يقدِّمه الباحث، وبخلافه يتحمَّل الباحث المسؤوليَّة القانونيَّة وتكاليف التحكيم وبرنامج الاستلال كافَّة.

٧- يلتزم الباحث بعدم إرسال بحثه أو مادَّته العلميَّة إلى أيِّ جهةٍ أخرى لغرض النشر، حتَّى يصله رد المجلَّة بصلاحيَّة بحثه أو مادَّته العلميَّة للنشر من عدمه بمدَّة لا تتجاوز ثلاثين يومًا من تاريخ استلام المجلَّة للبحث أو المادَّة العلميَّة، وبخلافه تحتفظ المجلَّة بحقوقها القانونيَّة والماليَّة كافَّة.

٨- يتعيَّن على الباحث أن يلتزم بشروط النشر المتاح على موقع المجلَّة الإلكتروني الرسمي، ويتعهد بأنَّه قد اطَّلع عليها.

٩- يجب على الباحث مراعاة الأمانة العلميَّة في البحث العلميّ والدراسة الأكاديميَّة، وفي مقدِّمتها أخلاقيَّات البحث العلميِّ وبنود لجنة أخلاقيات النشر (Committee On Publication Ethics) مثال ذلك، توثيق المراجع والمصادر والنصوص القانونيَّة والعلميَّة، ومراعاة الموضوعيَّة والمنهجيَّة في الكتابة، وبخلافه يتحمَّل الباحث المسؤوليَّة القانونيَّة والإداريَّة والماليَّة الكاملة عن أيِّ انتهاك أو تجاوز لهذه الأخلاقيَّات طبقًا للقوانين والتعليمات الوطنيَّة أو الدَّوليَّة، ومنها قانون حماية المؤلِّف رقم (٣) لسنة ١٩٧١.

١٠- تخضع جميع البحوث العلميَّة المراد نشرها بالمجلَّة لتدقيق نسبة الانتحال (Plagiarism) ضمانًا لعدم نشر البحوث مسروقة النَّصِّ جزئيًّا أو كليًّا، وبخلافه يتحمَّل الباحث المسؤوليَّة القانونيَّة والماليَّة والإداريَّة الكاملة.

١١- تخضع المادَّة العلميَّة التي تنشرها المجلَّة للتحكيم الشفاف والمراجعة العلميَّة المتخصِّصة (Peer-reviewed process) فضلًا عن التدقيق اللغوي (للغة العربية واللغة الإنكليزية)، ويكون للمجلَّة صلاحيَّة الموافقة على النشر فيها من عدمه؛ استنادًا إلى الآراء الأوليَّة لهيأة تحرير المجلَّة أو آراء المحكِّمين المتخصِّصين.

١٢- يقدِّم الباحث مع البحث أو المادَّة العلميَّة المراد نشرها موجزًا بالسيرة العلميَّة للباحث (نبذة تعريفية) مع بريده الإلكتروني الرسمي الذي ينتهي بامتداد (edu.iq) بالنسبة للسادة الباحثين العراقيين أو البريد الشخصي للباحث مع رقم الهاتف.

١٣- يُمنح كلُّ باحثٍ نسخة ورقيَّة من العدد المنشور فيه بحثه، ولا تتحمَّل المجلَّة أجور إرسال النسخة الورقيَّة للباحث.

١٤- تعمل المجلَّة على وفق آليَّة النشر المفتوح وسياسته (Open Access).

١٥- تلتزم المجلَّة بمنح الباحث قبول النشر حين استكمال جميع المتطلَّبات الخاصَّة بالنشر من قبيل استكمال ملاحظات المحكِّمين والتعهد وغير ذلك.

١٦- تستقبل المجلَّة البحوث أو المادَّة العلميَّة المراد نشرها بالطرق الإلكترونيَّة، ووسائل التواصل الخاصَّة برقم المجلَّة مثل الواتساب والتليكرام المتاحين على الموقع الرسمي للمجلَّة، أو يسلِّمها الباحث بصورةٍ شخصيَّة .

نشاط المجلَّة

عمل دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة على رعاية كتاب اللَّه تعالى بشتَّى الجوانب، وبذل الجهود الكبيرة من أجل توثيق الصِّلة بينه وبين المجتمع على اختلاف شرائحه، وكان نتيجة ذلك انبثاق مشاريع كثيرة يطول ذكرها، ومن تلك المشاريع العمل على دراسة تفسير النبيِّ وأهل بيته عليهم السلام للقرآن الكريم، وقد بدأت الدَّار بهذا العمل منذ سنين عدة، فكان نتاجها مشاريع كثيرة أهمُّها إنتاج موسوعة أهل البيت عليهم السلام القرآنيَّة، وقد بلغت ستِّين مجلَّدًا، وهي بمجملها وتفاصيلها لم يُسلَّط عليها الضوء ولم تعمل الأقلام فيها بحثًا، فكان النتاج بكرًا بالهيأة التي انتهت الدَّار إلى صياغتها، وحان الآن أن تُقَنَّن تلك الجهود بمساراتٍ علميَّة فتدخل تلك الثروة المعرفيَّة إلى المؤسسات الأكاديميَّة والمراكز العلميَّة؛ لتأخذ حيِّزها على وفق الوسائل المعترفِ بها أكاديميًّا والمسارات المتَّفق عليها منهجيًّا، ومن هنا شرعت الدار ببناء وسائل توازي الحاجات المعرفيَّة وتتَّفق مع المعطيات المعاصرة، ومن تلك الوسائل العمل على استحداث مجلَّة (هَدْي الثقلين) وتحكيمها بعد تهيئة المادَّة العلميَّة للباحثين، وصولًا إلى الوعي التَّامِّ بجهوزيَّة البناء المعرفي، للإنطلاق بأوَّل مشروعٍ بكرٍ في العالم الإسلامي، وهو مجلَّة علميَّة محكَّمة تُعنى بتفسير النَّبيِّ وأهل بيته عليهم السلام.

لماذا هَدْيُ الثَّقَلَين؟

هذا الاسم مستقى من حديث الثَّقلين الذي اتَّفقت الأمَّة الإسلاميَّة على مَضمونه، وهو قول رسول اللَّه صلى الله عليه وآله: ((إنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْن: كتابَ اللَّهِ وعِتْرتي))، ومن هنا أُريد لهذه المجلَّة أن تكون مصداقًا عمليًّا لتطبيق وصيَّة الرسول صلى الله عليه وآله في التَّمسُّك بالقرآن الكريم والعترة الطَّاهرة، الذي يُنجي من الهلاك ويعصمُ من الضَّلال فكانت (هدي الثَّقلين) .

يقول ابن فارس (ت: ٣٩٥ هـ) في صدد بيان لفظة: (هَدَيَ) في اللغة إنَّ له أَصْلَين: ((أَحَدُهُمَا التَّقَدُّمُ لِـلْإِرْشَادِ، وَالْآخَرُ بَعْثَةُ لَطَف، فَالْأَوَّلُ قَوْلُهُمْ: هَدَيْتُهُ الطَّرِيقَ هِدَايَةً، أَيْ تَقَدَّمْتُهُ لِأُرْشِدَهُ))، وَكُلُّ مُتَقَدِّمٍ لِذَلِكَ هَادٍ وما نريده من لفظة (هدي) في الاسم، هو معنى (التَّقَدُّمُ لِلْإِرْشَادِ)، وقد قدَّم الرسول صلى الله عليه وآله الثقلين لإرشاد الأمَّة، وجعلهما العاصمين من الضَّلال: ((إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي))، أمَّا المقصود بالثقلين في هذا الحديث فقد نصَّ اللغويون على بيان ذلك، ومنهم: محمد بن أحمد بن الأزهري (ت: ٣٧٠هـ) في تهذيبه قال:((فسَّر النبيّ صلى الله عليه وآله الثَّقَلين فجعلهما: كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ وعترته عليهم السلام، وأصل الثَّقَل أنّ العَرَب تَقول لكلِّ شَيْء نَفِيس مَصُون: ثقل))، وبيَّن سبب تسميتهما بالثَّقلين الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١ هـ) بما نقله في معاني الأخبار بقوله: ((لأنَّ التمسك بهما ثقيل)) وبيَّن أحمد ابن محمد الهروي (ت: ٤٠١ هـ) في غريبيه سببًا آخر بقوله: ((إِعْظَامًا لقدرهما وتفخيما لشأنهما))، وتابعه ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) في غريبه، والصَّنعاني (ت:٦٥٠ هـ) في تكملته، وابن منظور (ت: ٧١١هـ) في لسانه، ومرتضى الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) في تاجه، أمَّا سبب الإعظام والتفخيم لهما فيفسِّره جمال الدين الكجراتي (ت: ٩٨٦هـ) في مجمعه بقوله: ((إذ يستصلح الدين بهما ويعمر كما عمرت الدنيا بالثقلين)) وهذا ما نريده من التسمية بـ (هدي الثَّقلين) أي متابعة إرشادهما وهديهما، ونقل الشريف الرَّضي (ت: ٤٠٦ هـ) في مجازاته تعليلًا آخر بقوله: ((إنَّما سُمِّيا بذلك؛ لأنَّهما العدَّتان اللتان يُعَوَّلُ في الدين عليها، ويقوم أمر العالم بهما)).

لماذا التَّخصُّص بتفسير النَّبيِّ وأهل البيت عليهم السلام؟

جاء التَّخصُّص من الملازمة بين القرآن والعترة التي أسَّسها الرسول صلى الله عليه وآله لحفظ الأمَّة من الضلال، وأبان لها طريق الهداية العاصم من الانحراف بوصيَّةٍ لا نستبعد

الإعجاز في حفظها ورعايتها على نسقٍ اتَّفقت الأمَّة الإسلاميَّة بمختلف مشاربها على روايتها وصحَّتها؛ بل تواتر مضمونها وهي وصيَّة رسول اللَّه ﷺ بالتَّمسكِ بالثقلينِ وأنَّهما العاصمانِ من الضلال ولن يفترقا حتَّى يردا عليه الحوض.

وفي ضوء ما تقدَّم يُستبانُ أنَّ القرآن الكريم والنبيَّ الأكرم ﷺ بمعيَّة أهل بيته عليهم السلام هما الطريقان العاصمانِ من الضَّلالة، ولا يمكن لأحدٍ أن يكون أكثر قربًا لكلام اللَّه تعالى منهم بدليل نصِّ الرسول المتقدِّم، ومن هنا فإنَّهم أساس انطلاق الوعي بالقرآن الكريم وفهم محتواه ومضامينه.

وهم نقطة التقاء المسلمين جميعًا؛ إذ لا خلاف في فضلهم وعلوِّ مقامهم وعلمهم وأخذ الدِّين منهم، ومحبَّتهم وموالاتهم، بدليل احتواء كتب المسلمين على اختلاف انتماءاتهم بأحاديثهم ورواياتهم وسيرهم، وإطباقهم على تبجيلهم وتكريمهم.

فضلًا عمَّا سبق فإنَّ هذا الحقل المعرفي (تفسير النَّبيِّ وأهل بيته) لم يُسلَّط عليه الضوء بشكلٍ يُناسب أهميَّته، وكذا لم تُفرد له مجلَّة علميَّة محكَّمة متخصِّصة في رصده ودراسته.

حدود المجلَّة واهتماماتها:

تتبنَّى مجلَّة (هدي الثَّقلين) دراسة تفسير النَّبيِّ الأكرم وأهل بيته عليهم السلام للقرآن الكريم، ولا تتوقَّف عند حدود مدوَّناتٍ بعينها، وإنَّما تراقب آثارهم أينما وُجدت على نسق المعيار الذي أسَّسوه عليهم السلام، وهو عرض الأخبار الواردة عنهم على القرآن الكريم فما وافقه قُبِل وما لم يوافقه يُردُّ، وعلى أساس هذه الضابطة فإنَّ المجلَّة تستقبل الدِّراسات التي تُعنى بتفسيرهم للقرآن الكريم من دون تحديد المدونات أو تصنيفها؛ لأنَّنا قد راقبنا تفسير النبيِّ وأهل بيته عليهم السلام فوجدناه متفرِّعًا من شمولية القرآن الكريم واتِّساعه؛ ليكون هديًا للإنسان في حياته وآخرته.

الرؤية:

تفسير النَّبي وأهل بيته عليهم السلام ضرورة دينيَّة وحاجة معرفيَّة؛ لتلازمهما الشرعي والمعرفي بوصفهم عِدْل القرآن الكريم.

الرِّسالة:

تسعى المجلَّة إلى دراسة تفسير النَّبيِّ وأهل بيته عليهم السلام للقرآن الكريم على وفق المعايير الأكاديمية في المنهج العلميِّ الرَّصين مع الأصول الإسلاميَّة ومبادئها الفكرية، وبما يتوافق مع الحاجات المعرفيَّة المعاصرة؛ وبما يمكن التنبُّؤ به من حاجاتٍ معرفيَّة مستقبليَّة فتهيِّء إجاباتٍ مسبقةً عن أهمِّ تساؤلات المعرفة.

الأهداف:

١. المشاركة الفاعلة في بناء مجتمع المعرفة وتصحيح مساراته بنشر بحوثٍ علميَّةٍ رصينةٍ محكَّمةٍ من لدن خبراء متخصصين.

٢. تلبية حاجات الباحثين في مجال التفسير القرآنيّ على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية كافَّة .

٣. إضافة رصيد علمي متخصص لخدمة الباحثين وإثراء المعرفة في مجال التفسير القرآني.

٤. توثيق الصِّلات المعرفيَّة ومدّ جسور التعاون بين المراكز البحثيَّة والجامعات الأكاديميَّة؛ بغية الارتقاء بالمعرفة التفسيريَّة وإخراجها على نمطٍ يوازي المتطلبات المعاصرة.

٥. بيان رؤية النَّبي وأهل بيته عليهم السلام للخطاب القرآنيّ وأساليب تحليله، وأسس فهمه ومحدِّدات الاجتهاد لمن يتصدَّى لتفسيره.

٦. العمل على إظهار تفسير النَّبيِّ وأهل بيته عليهم السلام للقرآن الكريم، وجعله بوصلةً تنتظم عليه التفاسير الأُخَر؛ بوصفهم عِدْلَ القرآن الكريم بنصِّ الرسول صلى الله عليه وآله.

٧. بيان المعارف القرآنيَّة التي فتق النَّبيِّ وأهل بيته عليهم السلام معادنها، وأهمُّها تأسيسهم لحفظ القرآن وصيانة لغته من اللحن، والعمل على ديمومتها وحفظها من الزوال .

٨. الكشف عن جهود أهل البيت عليهم السلام وأثرهم في مدونات المسلمين وغيرهم ودراستها على وفق رؤيةٍ علميَّةٍ متخصِّصة.

المُحتَوَيات

ص	عُنوَانُ البَحث	اسمُ البَاحِث
٢٧	المَلَامِحُ التَّفْسِيريَّة الرَّضَويَّة في كِتَاب (كَلِمَة الإمام الرِّضَا عليه السلام) لآيَة اللَّه الشَّهيد السَّيد حَسَن الحُسَيني الشِّيرَازي قدس سره	أ.د خليل خلف بشير جامعة البصرة/ كليَّة الآداب
٦٣	المَنْهَجُ الفِقْهِي في تَفْسِير القُرْآنِ عِنْدَ الإمَامِ الجَوَاد عليه السلام	أ. د. أحمد الصفار جامعة مانشستر/ بريطانيا
٩٩	دَلَالَاتُ مَرْوِيَّات أُبَان بن تَغْلُب (ت:١٤١هـ/ ٧٥٨م) في العُلُوم الدِّينِيَّةِ دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّة	أ م د:عبَّاس نصيف جاسم كلية الإمام الكاظم عليه السلام الجامعة/ أقسام بابل
١٤١	أَثَرُ أَمِير المُؤْمِنِينَ عليه السلام في بَيَانِ المُنْطَلَقَاتِ المَعْرِفِيَّةِ لتَفْسِيرِ النَّصِّ القُرْآنِيِّ	م.د سجاد هادي صاحب العنبكي جامعة الكوفة/ كليَّة الفقه
١٧٧	التَّأويلُ القُرْآنيُّ عند الإمَام الهَادِي عليه السلام فِي الزِّيَارَةِ الجَامِعَةِ الكَبِيرَةِ	م . د. أحمد راضي جبر الشمَّري المديريَّة العامَّة للتربية في بابل

٢٠٥
التَّفسِيرُ المَوضُوعِي عِندَ الإمَامِ عَليّ عليه السلام دِرَاسَةٌ تَأصِيليَّةٌ
م.د ساجد صباح العسكري
جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام
فـرع ذي قـــار

٢٣١
المَنظُومَةُ المَعرِفِيَّةُ لَدَى أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عليه السلام وَأَثَرُهَا فِي بَيَانِ الإِعْجَازِ العِلْمِي
م.د محسن عبد العظيم آل الشيخ هادي الخاقانيّ
جامعة الكوفة/ كليَّة التربية

٢٧٩
المَنهَجُ التَّفْسِيرِي عِنْدَ آلِ البَيتِ عليهم السلام
د. صالح الطائي
محافظة واسط / متقاعد

٣١١
تَصْنِيفٌ اقْتِرَاحِيٌّ جَدِيدٌ للأَدوَارِ القُرْآنِيَّةِ التَّفسِيرِيَّةِ للإِمَام أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عليه السلام قِرَاءَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ
د. خالد غفوري الحسنيّ
جامعة المصطفى العالميَّة

٣٤٧
المَرْجِعيَّاتُ الحِجَاجِيَّة لإِثْبَاتِ وِلَايَةِ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عليه السلام دِرَاسَة فِي ضَوءِ تَحْلِيلِ الخِطَاب
م . د عماد طالب موسى الخزاعي
المديرية العامة للتربية في محافظة كربلاء المقدَّسة

المَنظُومَةُ المَعرِفِيَّةُ لَدَى أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عليه السلام وَأَثَرُهَا فِي بَيَانِ الإِعْجَازِ العِلْمِي

م.د. محسن عبد العظيم آل الشيخ هادي الخاقانيّ

جـامعة الكوفة / كلية التربيــة

The Epistemological System of The Commander of the Faithful (Imam Ali Ibn Abi Talib Peace Be Upon Him) and its Impact in Explaining Scientific Miracles

Asst. Lect. Mohsen Abd al-'Azim al-Sheikh Hadi al-Khaqani

University of Kufa / College of Education

المُلَخَّص:

توقَّفت معرفة نبوَّات الأنبياء على مبدأ الإتيان بالبراهين السَّاطعة من طريق المعجزات، وكان القُرآن الكريم المعجزة الخالدة المُثبِتة للنبوَّة الخاتمة، فتحقَّق الإيمان بها تبعًا لذلك العجز، وصدَّقوا النبيّ صلى الله عليه وآله فيما أمر به ونهى عنه، ومن أهمِّ أوامره وصيّتُه بالتمسُّك بالثقلين، من هنا عنى أئمَّة أهل البيت عليهم السلام بمبحث الإعجاز القرآنيّ؛ لأنَّ التَّسليم بإعجازيَّة القرآن الكريم تُفضي بالضرورة إلى التصديق بالنبيِّ والإيمان به، وبأئمَّة أهل البيت عليهم السلام. وقد عرض أمير المؤمنين عليه السلام مظاهر الإعجاز القُرآنيّ في خطبه بوصفهِ أحد مصطلحات علوم الشريعة آنذاك؛ فضلًا على تجلِّيه ضمن علوم القرآن، وهذا البحث يحاول استقراء كلامه عليه السلام القائم على منظومةٍ معرفيَّةٍ إلهيَّةٍ خاصَّة به دون غيره؛ بوصفه باب علم اللَّه، والقُرآن الناطق، ومن الراسخين في العلم، وأحد أبرز روَّاد المعرفة الإلهيَّة المتَّصلة بين السماء والأرض، فيقوم البحث بتحليل ما له علاقة بالإعجاز العلميّ للقُرآن الكريم عبر محدِّدين اثنين: الأوَّل اختصَّ ببيان المفاهيم النظريَّة لمنظومة أمير المؤمنين عليه السلام المعرفيَّة، والمحدِّد الآخر اختصَّ بمبحث الإعجاز القرآنيّ، وقراءة الأسس العلميَّة في الكشف عن الإعجاز القرآنيّ، ليسلّط الضوء على نزرٍ ممَّا أُثر عنه عليه السلام من انفراداتٍ معرفيَّةٍ سبق بها العلم المعاصر.

الكلمات المفتاحيَّة: المنظومة المعرفيَّة، أمير المؤمنين عليه السلام، الإعجاز العلميّ.

Abstract:

The knowledge of the prophecies of the prophets depended on the principle of presenting clear proofs through miracles. The holy Qur'an was the eternal miracle that confirmed the final prophethood. Faith in it was realized accordingly, and they believed in the Prophet (peace be upon him and his family) regarding what he commanded and forbade. Among his most important commands was his advice to adhere to the Thaqalayn (the two weighty matters). From this, the Imams of Ahl al-Bayt (peace be upon them) paid attention to the study of Qur'anic miracles, because affirming the miraculous nature of the Qur'an necessarily leads to belief in the Prophet and faith in him and in the Imams of Ahl al-Bayt (peace be upon them).

The Commander of the Faithful (peace be upon him) presented the manifestations of Qur'anic miracles in his sermons as one of the terms of the religious sciences of that time, in addition to their expression within the sciences of the Qur'an. This research attempts to examine his words (peace be upon him), based on a unique divine epistemological system exclusive to him, as the gate to God's knowledge, the speaking Qur'an, and one of the firmest in knowledge and among the foremost pioneers of divine knowledge connecting heaven and earth. The research analyzes what relates to the scientific miracles of the Qur'an through two specifications: the first addresses the theoretical concepts of the epistemological system of the Commander of the Faithful (peace be upon him), and the second addresses the topic of Qur'anic miracles and the reading of scientific foundations in uncovering the Qur'anic miracle, in order to highlight a small portion of his unique epistemological contributions that preceded contemporary science.

Keywords: epistemological system, Commander of the Faithful (peace be upon him), scientific miracles.

المقدِّمة

الحمد للَّه ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على أشرف الخلق أجمعين، محمَّدٍ وآله الطَّاهرين، أمَّا بعدُ، فتوقَّفت معرفة النبوَّات على مبدأ الإتيان بالبراهين السَّاطعة من طريق المعجزات، وكان القرآن الكريم المعجزة الخالدة المُثبِتة للنبوَّة الخاتمة للنبيّ صلى الله عليه وآله، وقد عنى أئمَّة أهل البيت عليهم السلام بمبحث الإعجاز القرآني؛ لأنَّ التَّسليم بأنَّ القرآن الكريم مُعجِزٌ يُفضي بالضرورة إلى التسليم بأنَّه من عند اللَّه تعالى، ويتوقَّف عليه التصديق بالنبي والإيمان به، كما يتوقَّف التصديق بأئمَّة أهل البيت عليهم السلام والإيمان بهم محصّلةً. وكان لأمير المؤمنين عليه السلام قصب السبق في تناول بيان مظاهر الإعجاز القرآنيّ في خطبه، من قبل أن يكون هناك تجلٍّ واضحٍ للإعجاز بوصفه أحد مصطلحات علوم الشريعة آنذاك، فضلًا على تجلّيه ضمن علوم القرآن، ومن قبل أن يصل العلم إلى ما وصل إليه اليوم بما اكتشف من وجه إعجاز علميّ، فوسَّع أمير المؤمنين عليه السلام بمنظومته المعرفيَّة أن يستوعب الماضي ويواكب الحاضر، وأن يمتدَّ أفق علمه نحو المستقبل، وأن يتكلَّم بما يواكب العلوم الحديثة، وسبق عصر التقدُّم التكنولوجيّ.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام متبعًا أسلوب المنهج القرآنيّ في عرضه للحقائق العلميَّة من طريق نصٍّ مكتنز الدَّلالات، فتجد لكلامه فهمًا خاصًّا يتناسب مع كلِّ عصرٍ بحسب ما يمتلك من قابليَّات لفهمه، مع مزيّة قبوله من معاصريه الذين يعيشون في عصرٍ بعيدٍ عنَّا، ومع ذاك فلم يمجّه أحد من المتلقِّين له؛ بل كان يمثِّل فتحًا علميًّا، وتيسيرًا للعسير وتوضيحًا لما قد أغمض عليه، وفي الوقت نفسه ساير ذلك الأسلوب العصور المتأخِّرة التي وظَّفت إمكاناتها في الكشف عن الحقائق العلميَّة بكلِّ ما أوتيت من قوَّة، والتي أخبر عنها الإمام عليه السلام من دون توافر تلك الإمكانات والأدوات المستعملة في البحوث العلميَّة والمنقبة عن الحقائق الكونيَّة، وما ذاك إلَّا لأنَّ منظومته المعرفيَّة قائمة على مصدر ربَّانيّ، وما

عنده لا يمكن أن يُتحصَّل عند غيره؛ لأنَّ نافذة علمه مستقاة من منزِّل القرآن الكريم نفسه جلَّ وعلا، فكان أحقَّ من غيره أن يُبيِّن ما بيَّنه من إعجازٍ علمي للقرآن الكريم، وكأنَّه في كلامه سدُّ حاجة ذلك الوقت بالمعلومات الكافية، وادَّخر فيه كنوزًا إلى أزمان وأقوام تأتي فيما بعد.

ولما تقتضيه المنهجيَّة العلميَّة المتَّبعة في إنجاز البحوث العلميَّة، شرع البحث بالتأسيس النظريّ عبر مبحثه الأوَّل المعنون: المفاهيم النظريَّة لمنظومة أمير المؤمنين عليه السلام المعرفيَّة، ومن ثمَّ انتقل إلى الجانب التطبيقيّ عبر المبحث الثاني الموسوم: الإجراءات التطبيقيَّة لبيان مظاهر الإعجاز العلميّ في كلام أمير المؤمنين عليه السلام، إذ ضمَّ سبعة مطالب انتظمت؛ تبعًا لمجالات الإعجاز العلميّ المقرَّرة عند العلماء، ممثِّلةً القراءة في مظاهره الكونيَّة والفلكيَّة والأرضيَّة وما يتعلَّق بخلق الإنسان والحيوان، ممَّا اتَّفق الحديث فيه بين النصِّ القرآنيِّ المقدَّس والنصّ العلويّ الشريف. فجاءت التطبيقات الإجرائيَّة للتدليل على فرضيَّة البحث فحسب وعلى سبيل المثال لا الحصر، فلا يمكن لبحثٍ -بهذا الحجم- أن يستوفي جميع ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في مجال ما يتعلَّق بمظاهر الإعجاز العلميّ للقرآن الكريم، ونشير إلى أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام بسبب قاصريَّة معاصريه ومقصِّريَّتهم لم يتمكَّن من نشر كلِّ العلوم في عصره ومدارستها، ولم يتحدَّث بجميع ما عنده من علم، فمن يطَّلع على علمه عليه السلام - وإنْ لم يعرفه إمامًا مُنصَّبًا من لدنِ اللَّه تعالى حتَّى يُؤمن به- لا يشكُّ ولا يتردَّد في أن يصنِّفه على رأس قائمة عباقرة الأمم، والحضارات في كلِّ العصور؛ لأنَّه استطاع أن يُنير الإنسانيَّة بعلومه التي مرَّ عليها مئات السنين. وما هذا البحث إلَّا محاولة جادَّة في تبيين نزرٍ يسيرٍ من علم أمير المؤمنين عليه السلام في أحد جوانب المعرفة القرآنيَّة، فما كان فيه من صواب فهو بتسديدٍ من اللَّه تعالى، وما كان خلاف ذلك، فنسأل اللَّه عزَّ وجلَّ العفو والمغفرة منه، وآخر دعوانا أنِ الحمد للَّه ربِّ العالمين.

المبحث الأوَّل

المفاهيم النظريَّة لمنظومة أمير المؤمنين عليه السلام المعرفيَّة

توطئة:

المنظومة المعرفيَّة اللدنيَّة لدى الإمام أهَّلته لأن يتكلَّم بما يواكب العلوم الحديثة، وسبق عصر التقدُّم التكنولوجيّ، وسار على ما أخبر به النبيّ صلى الله عليه وآله من إثبات علم تأويل الكتاب له، واللافت للنظر أنَّ كلام أمير المؤمنين عليه السلام جاء بأسلوب المنهج القرآنيّ في عرضه للحقائق العلميَّة عبر نصٍّ مكتنز الدَّلالات، فتجده يتكلَّم بما يناسب كلّ عصرٍ بحسب ما يمتلك من أدواتٍ وقابليَّات لفهم النصّ، فانماز ذلك الأسلوب بالقبول من معاصريه الذين يعيشون بعصرٍ بعيدٍ كلّ البعد عمَّا عليه الناس اليوم، ومع ذاك فلم يمجَّه أحد من المتلقِّين؛ بل كان يمثِّل فتحًا علميًّا، وتيسيرًا للعسير وتوضيحًا لما قد أغمض على المتلقِّي، وفي الوقت نفسه ساير ذلك الأسلوب العصور المتأخِّرة التي وظَّفت إمكانتها في الكشف عن الحقائق العلميَّة بكلِّ ما أوتيت من قوَّة، وأبو الحسن عليه السلام كان قد أخبر عنها من دون توافر تلك الإمكانات والأدوات المستعملة في البحوث العلميَّة والمنقِّبة عن الحقائق الكونيَّة، وما ذاك إلَّا لأنَّ المنظومة المعرفيَّة لدى أمير المؤمنين عليه السلام قائمة على مصدر ربَّاني، له القابليَّة في الاطِّلاع على الحقائق قبل اكتشافها من طريق الدراسة والكسب، ولم تغب الحقيقة عنه لحظة واحدة

المطلب الأوَّل: الأئمَّة عليهم السلام خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله وورثة علمه

لا يخفى على الجميع أنَّ القرآن الكريم هو خاتمة الشرائع، وأنَّ نبيَّنا محمَّد صلى الله عليه وآله الرسول الذي جاء به هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وبما ((أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله بُعث للعالم أجمع، وللخليقة التي على كرة المعمورة كافَّة، وما كانت شريعته لتعمّ

البشر على اختلاف الألسنة، وتباين الطباع وتغاير الألوان، وتشاسع البلدان إلّا وهي صالحة؛ لأن يكون نظامها العام الذي تنضوي تحت لوائه، والذي يوافق كلَّ قطر، ويلائم كلَّ جيلٍ ويجتمع مع كلِّ لسانٍ من دون أن يكون لقطرٍ أو جيل أو لسان ميزة على عداه))[1].

ومن الأمور البدهية أن يحظى صاحب هذه الرسالة العظيمة برعاية إلهيَّة، إذ ((لا بدَّ وأن يكون لصاحب هذه الدعوة وتلك السيطرة، من العلم من لدن العلَّام جلَّ وعلا، ما يحيط بالجليل والحقير والكبير والصغير فيما تأتي به الحوادث في تلك البلاد قربت أو بعدت؛ ليتسنَّى له أن يتدارك الحيف ويرفع الظلم وينتقم من أهل العدوان عند أوَّل زمن، ولولا هذا العلم المحيط وتلك القدرة على التنفيذ لكانت الرسالة ناقصة والإصلاح والعدل غير شاملين، فعلم الرسول بالعالم وإحاطته بما يحدث فيه، وقدرته على تعميم الإصلاح للداني والقاصي والحاضر والباد، من أسس تلك الرسالة العامَّة وقاعدة لزوميَّة لتطبيق تلك الشريعة الشاملة))[2].

وبحسب تتبُّع مصادر السِير والتأريخ الحاكية عن واقع الدعوة الإسلاميَّة، يتبيَّن أنَّ حركة الدعوة الإسلاميَّة لم يُسمح لها بالانتشار إلى أقاصي الأرض؛ بل كانت محدودة بحدود الظروف المحيطة بها، بينما يُراد لها أن تشمل جميع المعمورة، كما أنَّها لم تتناول جميع علوم الحياة؛ لعدم توافر الظروف المناسبة لظهورها.

غير أنَّ الظروف المصاحبة للدعوة لم تسمح للنبيّ صلى الله عليه وآله أن يظهر لقومه ومعاصريه تلك القوى القدسيَّة والعلم الرباني الفياض؛ بل إنَّ بعض التشريعات، وكذا بعض الحقائق عن الكون، وعن الحياة، وشؤونها، لم يكن يمكن له صلى الله عليه وآله بيانها لعامَّة الناس، فلو أنَّه صلى الله عليه وآله قال لهم: إذا صعد الإنسان إلى القمر مثلاً، فإنَّ عليه أن يُصلِّي بهذه الطريقة، أو بتلك، أو لو قال لهم: إنَّه يمكن أن يرى مَن في

(١) علم الإمام، المظفَّر: ١٣ .
(٢) المصدر نفسه: ١٥ .

المشرق مَن في المغرب بواسطة جهاز تلفاز، وأنَّ حكم النظر إلى صور الخلاعة فيه هو كذا، أو تحدَّث لهم عن جهاز الكمبيوتر، أو اللاسلكيّ، أو نحو ذلك ممَّا اكتشف حديثًا، فإنَّهم سوف لن يساورهم أيّ شكٍّ في أنَّه ساحر أو مجنون، ولصدّهم ذلك عن الإيمان بنبوَّته، وعذرهم في ذلك واضح[1].

مع الأخذ بالحسبان ((أنَّ ما جاء به الرسول عن الجليل تعالى من الأحكام وتطبيقها على المجتمع البشريّ لم يكن مقصورًا على زمن الرسالة وأهل أوانها فحسب؛ بل هو عامٌّ لكلِّ قوم وجيل وزمان ومكان، إنَّما أنت منذر لكلِّ قوم هاد، فتطبيق ما صدع به الرسول بعد عصر الرسالة يحتاج إلى ذلك الخبير في كلِّ وقتٍ وحين بتلك الأحكام كما أنزلت، وبذلك النظام كما صدع به، وبما يحدث في العالم كما كان عليه الرسول؛ لتعميم العدل والأمن وتنفيذ أحكام الشريعة، وذلك الخبير هو الهاد بعد المنذر من دون فصل ومن دون استثناء زمن، ولولا ذلك الخبير الهادي -إذا أطيع - لدخلت الأهواء الباطلة والآراء الضالة في تلك الأحكام وذلك النظام، فتصبح الأمَّة مذاهب وشيعًا، وأحزابًا وفرقًا، فالخلافة وظيفة تنوب عن الرسالة وتنهض بعبئها الباهض، سوى مقام النبوَّة والتشريع، ولو لم يكن للخليفة تلك الملكة السامية القدسيَّة السماويَّة، من العلم بما يحدث في العالم، ليسير بها على سنن العدل ومناهج الإصلاح ومن القوى النفسيَّة التي يستطيع بها على تمشية ذلك النظام الإلهيّ))[2].

ثُمَّ إنَّ سنَّة اللَّه عزَّ وجلَّ في أنبيائه ورسله اقتضت أن يكون لكلٍّ منهم زمنٌ محدودٌ؛ ليأتي دور الذي بعده وهكذا، فإذا ما علمنا ((أنَّ أمد الرسول منقضٍ مهما طال، وجب أن يكون له خليفة ينهض بجمع النَّاس وتسييرهم تحت لواء واحدٍ، وتطبيق نظام الشريعة عليهم، وقيامه بما قام به الرسول من إفشاء العدل والإصلاح، واستتباب الأمن))[3].

(١) ينظر: مقالات ودراسات، العاملي: ٦٨ .
(٢) علم الإمام: ١٧.
(٣) المصدر نفسه: ١٦.

من هنا والحال هذه وجب أن يخلُف النبيَّ ﷺ من هو مؤهَّلٌ تمام الأهليَّة، وعلى رأسها حصوله على العلم الإلهيّ؛ لإتمام عمليَّة التبليغ عن اللَّه ﷻ، وأن يؤدِّي دوره العلميّ ورعايته الأبويَّة للأمَّة بعد رحيله، بما اكتسب من الفيوضات الربَّانيَّة والمواهب السماويَّة، وهم أهل البيت عليهم السلام، فمن طريقهم عليهم السلام، وبهم يكون بقاء هذا الدين؛ وذلك لأنَّهم[1]:

١ - التجسيد الحيّ للأنموذج الخالص، والمرآة الصافية التي تعكس الإسلام: عقلًا، وروحًا، وأحاسيس، ومشاعر، وميزات، وخصائص، ثمَّ نهجًا وموقفًا، وحركة، وسلوكًا، وكيف لا، وهم الذين أذهب اللَّه عنهم الرجس، وطهَّرهم تطهيرًا، وهم صفوة اللَّه من خلقه، وخيرته من عباده.

٢ - أهل بيت النبوَّة، ومعدن الرسالة، وهم عيبة علم رسول اللَّه ﷺ، وهم أحد الثقلين اللذين لن يضلَّ من تمسَّك بهما، وهم أيضًا سفينة النجاة ومصباح الهدى، ومن طريق ذلك يمكن لأهل البيت من إنجاز مهمَّتهم في الهداية والتزكية الروحية، وتصفية النفوس، وتطهير الفطرة وتخليصها من كلِّ الشوائب التي علقت أو تعلق بها، بالمعرفة الهادية، والعلم الزاكي، المتدفق من منبعه الأصفى، هو الذي يرفد الفكر ليتحرَّك على وفق الضوابط والمعايير؛ لينتج الوعي والهدى والصلاح في الأمَّة كلِّها.

وفيما قامت عليه عقائدنا -نحن الإماميَّة الاثني عشريَّة- أنَّ ((أهل البيت هم الأئمَّة حقًّا والخلفاء صدقًا، فلا بدَّ أن يكونوا علماء بكلِّ شيءٍ علمًا حضوريًا ممَّا كان ويكون وما هو كائن، وفي كلِّ فنٍّ وحكم وأمر، فلا يجوز أن يسأل الإمام عن شيءٍ مهما كان، ولا يكون عنده علمه، ولا يحدث شيء وهو غير خبير به؛ لتكون لله تعالى به الحجَّة البالغة على خلقه، كما كانت لصاحب الرسالة، ولولا الإمام لانقطع أثر الرسالة العظيم، ولم تلمس الناس جدواها الجليلة في العاجل

(١) مقالات ودراسات: ٦٧-٦٨.

والآجل، إلى غير هذا ممَّا يستلزم إضعاف شأن الرسالة وعدم سراية نفعها، وإذا أبت الظروف أن تسمح لذلك الإمام بإظهار ما أودعه العلَّام سبحانه عنده من جليل علمه، وأسرار حكمه، فلا يكون معنى ذاك أنَّه ليس لديه هذا العلم والوجدان خير مرشد إلى هذا الوجود، لظهوره أحيانًا على أفعال ذلك الإمام وأقواله، ومحاوراته ومناظراته، وإذا أضاعت النَّاس تلك المنفعة الجليلة من مخزون علم الإمام، وصالح إرشاده وجميل إصلاحه، بإعراضهم عنه وإقبالهم على سواه، فلا يكون معنى ذلك أنَّه لا فائدة مهمَّة بعلمه؛ لأنَّ الفائدة الجليلة إنَّما ضاعت بما اختاره النَّاس لأنفسهم، فإنَّ من يضع على عينيه غشاوة لئلَّا يبصر القمر ونوره، فلا يعدم ذلك نور القمر، وإنَّما يعدم الانتفاع بذلك النور بسوء ما اختار، ولولا هذه الإضاعة وتلك الغشاوة، للمسوا تلك الجدوى، ولاهتدوا بذلك النور، نعم لو كان الإمام صاحب السيف والصولجان، وكانت الوسادة مثنية له، لظهر علمه ناصعًا تبصره كلُّ عينٍ وتلمس آثاره كلُّ يد، ولم يملك من أئمَّة أهل البيت عليهم السلام أزمة الأمور إلَّا أمير المؤمنين عليه السلام أربع سنين وأشهرًا، وأنت تعلم كيف لاقى من الأمَّة من النزاع والصراع والقراع، ومع ذلك فقد ظهرت له في هذه المدَّة الوجيزة من الفضائل والعلوم ما ملأ الخافقين، وهي وإن كانت غيضًا من فيض إلَّا أنَّها أدهشت العقول، وأحارت الألباب حتَّى دعت بعض الضعفاء في البصائر إلى الغلوِّ فيه ورفعه عن مستوى البشر إلى منزلة الألوهيَّة، فكيف تراهم لو أبدى جميع المكنون من عمله، والمخزون من حكمه وحكمه؟[1].

وعليه ((لمَّا كانت رسالة السَّماء عالميَّة الدَّلالة، إنسانيَّة العطاء، وكانت الإمامة امتدادًا طبيعيًّا للنبوَّة، كان لابدَّ لهذه الرسالة من أن تتخطَّى البعد الإقليميّ إلى عالم الكون بما يقتضي هذا التوسُّع من استيعاب وشموليَّة، وكان ميدان هذا التجاوز في الآفاق أن يتوَّج العلم المعرفيّ العام والخاص بإمدادات غيبيَّة لدنيَّة

(١) ينظر: علم الإمام: ٢٤-٢٥ .

تضاف إلى التعليم التقليديّ في الكسب والمدارسة، وتتَّجه إلى مناخ جديد، يتعدَّى وسائل الأطاريح البشريَّة المعروفة في التعليم إلى آفاق غير طبيعيَّة ذات بُعدٍ فريدٍ لا يُحتاج معه إلى آليَّة تعليميَّة فيما يتعاطاه العلماء عادة، وهذه حقيقة واقعة ممَّا آتاه اللَّه تعالى عباده المخلصين، وليس هذا بدعًا من القول؛ بل هو نابع من خلال قوله تعالى- فيما اقتصَّ من خبر موسى بن عمران مع العالم الذي يعرف بالخضر ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]، فهو علم لدني يهبه اللَّه لمن يشاء من عباده الصدِّيقين، وكان أئمَّة أهل البيت عليهم السلام من أبرز مصاديق هؤلاء العباد في الحسِّ والتجربة وشواهد الأحوال، وفي شتَّى المجالات))[١]، فـ ((الإمامة ضرورية للأمَّة، وأنَّ الإمام لا بدَّ له من ذلك العلم الزاخر المستمدّ من ينبوع علم العلام تعالى، ولو لم يكن في الأمَّة إمام على هذه الصفة، لما قامت لله الحجة البالغة على خلقه بعد الرسول إذ لا تقوم الحجَّة بذوي الجهل))[٢]. وقد أحصى الشيخ محمَّد حسن المظفر عددًا من الأحاديث المثبَّتة لعلم أهل البيت عليهم السلام اللدني، وهو بعض ما نطقت به الأحاديث وصرَّحت به الأخبار، ممَّا يُسهم في عرفان ما كانوا عليه من ذلك العلم الزاخر، وإن كنَّا نجهل ما اتَّصفوا به، غير أنَّا نستظهر شيئًا أنبأت عنه أحاديثهم الشريفة، ودلَّتنا عليه أعمالهم المأثورة، فكانت تلك الأخبار على طوائف بعنوانات متعدِّدة نذكرها على سبيل الاختصار[٣]:

١- علمهم بما في السماء والأرض. ٢- الأئمَّة خزنة العلم والحجَّة البالغة.

٣- أنَّ الأئمَّة هم الراسخون في العلم والذين أوتوا العلم.

٤- الأئمَّة معدن العلم ووارثوه. ٥- الأئمَّة ورثة علم النبيّ صلى الله عليه وآله.

(١) موسوعة أهل البيت، الإمام علي الهادي، الصغير محمَّد حسين: ١٩٦-١٩٧ .
(٢) علم الإمام: ٢٤ .
(٣) ينظر: علم الإمام: ٤٣- ٤٩ .

٦- أنَّ لدى الأئمَّة عليهم السلام جميع الكتب ويعرفونها على اختلاف ألسنتها.

٧- الأئمَّة يعلمون الكتاب كلَّه. ٨- عندهم جميع العلوم.

٩- يعلمون حتَّى بانقلاب جناح الطائر. ١٠- أنَّ الأئمَّة الشهداء على الناس.

فالأئمَّة عليهم السلام جميعهم هم الراسخون في العلم، والذين أوتوا العلم والذين علموا تأويل القرآن الكريم، والمقرون علمهم بالتأويل بعلمه جلَّ شأنه، وقد أوتوا العلم وأثبت في صدروهم.

المطلب الثاني

الإمام علي عليه السلام خازن علم اللَّه عزّ وجلّ وخازن علم رسوله صلى الله عليه وآله

من الواضح أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يسبق عصره فيما أبداه من العلم فحسب؛ بل فاق ذلك حتَّى وصل سبقه إلى عصرنا وسيبقى سابقًا إلى ما شاء اللَّه تعالى، إذا ما اتَّضح ما انماز به علي بن أبي طالب عليه السلام من مكانةٍ علميَّةٍ متفرِّدة في أصناف العلوم، فلا غرو في أن يكون كلامه سابقًا لما توصَّل إليه العلم مؤخَّرًا، فما ورد في الأثر نزرٌ ممَّا أظهره من علمه -بحسب ما تقتضيه الظروف آنذاك- فقد برع أمير المؤمنين عليه السلام بتفوّقه بالمرتبة العُليا في العلوم، سواء كانت علوم دينيَّة أم دنيويَّة، نحو الرياضيات؛ والكيمياء كما ذُكر له وصف الذرة، وعلوم اللغة كالنحو والبلاغة، فعنه أخذ أبو الأسود الدؤليّ أصول علم النحو العربيّ.

وقد اختصَّ أمير المؤمنين عليه السلام بأنَّه خازن علم اللَّه عزّ وجلّ وعلم رسوله؛ بوصفه الإمام من بعد النبيّ باختيار اللَّه تعالى له، فكانت وراثة العلم بتخطيط إلهيّ، فعن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: ((سمعته يقول فلمَّا قضى محمَّد صلى الله عليه وآله نبوَّته واستكملت أيَّامه، أوحى اللَّه إليه: يا محمَّد قد قُضيَت نبوَّتك واستُكمِلَت أيَّامك، فاجعل العلم الذي عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار

النبوَّة في أهل بيتك، عند علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنِّي لم أقطع علم النبوَّة من العقب من ذرِّيتك كما لم أقطعها من بيوتات الأنبياء))[1].

وكثيرة هي الآيات القرآنيَّة التي نزلت في حقِّ أهل البيت عليهم السلام عامَّة، وفي أمير المؤمنين عليه السلام خاصَّة، وهي تُتلى على المنابر والمنائر آناء الليل وأطراف النهار، منها آية التطهير وآية المباهلة وآية المودة، وآية إكمال الدين وغيرها، ونريد أن نثقل في الحديث عن تفسير هذه الآيات وأسباب نزولها الواردة في كتب عامَّة المسلمين فضلًا على خاصَّتهم.

وقد وردت في حقِّ أمير المؤمنين عليه السلام أحاديث كثيرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله تُثبتُ فضله ومنزلته وتشيد بمواقفه وجهاده، وقد وثَّقت تلك الأحاديث جملةٌ من المصادر الحديثية لعلماء المسلمين -عامَّتهم وخاصَّتهم- والبحث سيطوي كشحًا عن ذكرها، ويكتفي بذكر بعض المصاديق المثبَّتة لعلم أمير المؤمنين عليه السلام الموضَّحة لمكانته العلميَّة وتميِّز منظومته المعرفيَّة من غيرها. من تلك الأحاديث الحديث الوارد بطرق معتبرة لدى عامَّة المسلمين وخاصَّتهم، وهو حديث (باب العلم)، فقد روى هذا الحديث الشريف علماء المسلمين على اختلاف مشاربهم العقديَّة والفقهيَّة، ومنهم الحاكم النيسابوريّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنَّه قال: ((أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأته من بابه))[2].

وتتَّضح دلالة الحديث على حصر طريق الولوج إلى علم رسول اللَّه صلى الله عليه وآله فيما يتعلَّق بمسائل الدين العقديَّة والفقهيَّة والأخلاقيَّة، وما يتعلَّق بمسائل الدنيا السياسية والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة وغيرها، حصرها بأمير المؤمنين عليه السلام، وضرورة أخذ العلم منه حصرًا من دون قيدٍ أو شرطٍ؛ لأنَّ علمه حتمًا هو ما يتطابق مع المراد الجِدِّي الذي يريده اللَّه جلَّ وعلا، وإضفاء صبغة

(١) الكافي، الكليني: ١/ ٢٩٣.
(٢) الخصال، الصدوق: ٥٧٤ .

العصمة على تلك العلوم وصيانتها من الخطأ والاشتباه، وفي هذا الحديث دلالة على أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام يمتلك الأسس المعرفيَّة للعلوم الإنسانيَّة، وما يتوصَّل إليه الإنسان بمرور الأزمان وبتطوّر عقله، وبهذه الأسس فإنَّه بإمكانه أن يُوجد العلوم ويكشف عن الحقائق ممَّا لم يسبقه إليها.

وممَّا لا شكَّ فيه ((أنَّ المقصود أنَّه صلى الله عليه وآله هو المنبع الَّذي تفيض عنه العلوم الإسلاميَّة والأسرار الحكميَّة الَّتي اشتمل عليها القرآن الحكيم والسنَّة الكريمة، وهو مصدرها والمحيط بها؛ لأنَّ شأن المدينة بما تحتوي عليه كذلك، وأنَّ عليًّا عليه السلام هو المفرِّع لتلك الأسرار والمهتدي لتفاصيل جملها وأحكامها الكلِّيَّة بحسب ما له من كمال الحدس وقوَّة الاستعداد، بحيث تصير تلك الأسرار سهلة التناول قريبة المأخذ بسائر الخلق؛ لأنَّ الباب هو الجهة الَّتي منها ينتفع الخلق من المدينة، ويمكنهم تناول ما أرادوه منها))[1].

ومن الأخبار الواردة في كتب الخاصَّة الدالَّة على أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام تلقَّى من النبيِّ صلى الله عليه وآله طوال حياته علومًا كثيرة ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنَّه قال: ((سُئل عليٌّ عليه السلام عن علم النبيِّ صلى الله عليه وآله فقال: علم النبيِّ علم جميع النبيين، وعلم ما كان وما يكون إلى قيام السَّاعة، ثمَّ قال: والذي نفسي بيده إنِّي لأعلم علم النبيِّ صلى الله عليه وآله، وعلم ما كان وما هو كائن فيما بيني وبين قيام السَّاعة))[2].

وكذلك ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: ((إنّ اللَّه تعالى علّم رسول اللَّه صلى الله عليه وآله القرآن وعلّمه شيئًا سوى ذلك، فما علّم اللَّه رسولَه فقد علّم رسولُه صلى الله عليه وآله عليًّا))[3].

(١) شرح نهج البلاغة، البحراني: ١/ ٧٧ .
(٢) بصائر الدرجات: ١٣١ .
(٣) المصدر نفسه: ٣١٠ .

المطلب الثَّالث: علم الإمام علي عليه السلام بالقُرآن الكَريم خاصَّة

ولسعة علم أمير المؤمنين عليه السلام، ولعلمه بكثير من الحقائق والأمور ممَّا حدث في غابر الزَّمان وما يحدث في حاضره ومستقبله، ولأنَّه ملهم ومحدَّث كان عليه السلام يُصرِّح ويقول: ((سلوني قبل أن تفقدوني، ولن تسألوا بعدي مثلي))(١)، ولم تكن منزلته مقتصرة على معرفته بالعلوم القرآنيَّة والعلوم النبويَّة فحسب؛ بل كان من مصادر منظومته المعرفيَّة أنَّه كان مُحدَّثًا ومُلهمًا بالعلم والعمل، وهذا ما أكَّدته جملةٌ من الروايات الواردة عن بيت العصمة، ومنها ما ورد عن الإمام محمَّد الباقر عليه السلام وغيره(٢).

وهذا لا يعني أنَّ أهل البيت عليهم السلام يعلمون الغيب بمعزلٍ عن اللَّه عزَّ وجلَّ، حاشا وكلَّا؛ بل علم الغيب منحصرٌ باللَّه عزَّ وجلَّ؛ ولكن لا ضير أن يُطلع اللَّه تعالى بعض من خصَّهم بكرامته على علم الغيب من دون العلم الذي استأثر اللَّه به لنفسه، فيكون ذلك تعلُّم من ذي علم، وهو ما نطق به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦-٢٧]، فالملاحظ أنَّ ((المعنى في الآية الأولى: أنَّ اللَّه وحده هو عالم كلِّ غيبٍ يختصُّ به، فلا يُطلع على الغيب- وهو مختصٌّ به- أحد من النَّاس، والمفاد في هذا هو السلب الكليّ، أي لا يُظهِر على كلِّ غيبه أحد، وفي الآية الثانية في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ استثناء من قوله: (أحدًا) في الآية الأولى، و﴿مِنْ رَسُولٍ﴾ بيان لقوله: ﴿مَنِ ارْتَضَى﴾، فيفيد أنَّ اللَّه تعالى يظهر رسله على ما يشاء من الغيب المختص به))(٣).

وهذا ليس من قبيل الوحي الرِّسالي الذي يختصُّ به الأنبياء عليهم السلام؛ ولكنَّه يتأتَّى بوسائط تحدَّث عنها الإمام، كالقذف في القلوب والنقر في الأسماع،

(١) ينظر: المستدرك على الصحيحين: ٢/ ٣٨٣ .
(٢) ينظر: الكافي: ١/ ٢٦٩ .
(٣) موسوعة أهل البيت عليهم السلام، الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ٢٦٠-٢٦١ .

والإلهام اليقيني الخالص، فقد ورد عن عليِّ بن يقطين قال: ((قلتُ لأبي الحسن موسى عليه السلام: عِلمُ عالِمِكم سماعٌ أم إلهام؟ فقال: قد يكون سماعًا ويكون إلهامًا ويكونان معًا))[١].

وكان الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام قد عرض لمسألة علم الغيب، وأبلغ في الردِّ على من نسب إليه علم الغيب أصالةً، فقال: ((ليس هو بعلم غيب، وإنَّما تعلَّم من ذي علم، وإنَّما علم الغيب: علم الساعة وما عدَّده اللَّه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]، وما سوى ذلك، فعلم علَّمه اللَّه نبيَّه فعلَّمنيه، ودعا لي بأن يعيه صدري، وتنظمَّ عليه جوانحي))[٢].

من هنا نلحظ أنَّ ما ((تحدَّث عنه الإمام علي عليه السلام من أنباء الغيب، وكذلك الأئمَّة المعصومون من بعده ليس من علم الغيب اختصاصًا؛ ولكنَّه من علم الغيب إفاضةً، وشتَّان بين الاختصاص والإفاضة، فعلم الغيب بحد ذاته ممَّا يختصُّ به اللَّه وحده فهو كصفةٍ ذاتيَّة لله عزَّ وجلَّ، وغيره يعدُّ حالة استثنائيَّة ممكنة، يختصُّ بها اللَّه من يشاء من عباده، وعلم الغيب بالملحظ الأوَّل عبارة عن رصد حقائق الأشياء في الغيب المجهول تلقائيًا، والتحدُّث عنها بلغة قاطعة فوق المنظور الاعتياديّ، باعتبارها واقعة حقيقية دون شكّ، وهذا ما يختصُّ به اللَّه وحده؛ ولكن اللَّه عزَّ وجلَّ قد أخبر نبيَّه بجزء من علم الغيب فيما مضى ومستقبليًا، كما ورد ذلك في القرآن العظيم، وأخبر بها الناس كالحديث عن خلق آدم عليه السلام، وسجود الملائكة له إلَّا إبليس، وقتل قابيل هابيل، وقصَّة نوح عليه السلام والطوفان، وحديث إبراهيم عليه السلام وقومه وإلقائه في النار، والأصنام، والكواكب، والهجرة، وبناء البيت، وضيف إبراهيم المكرمين، ونبأ عاد وثمود، وأهل الكهف، وذي

(١) الاختصاص، الشيخ المفيد: ٢٨٦ .
(٢) شرح نهج البلاغة، محمَّد عبده: ٢٣٩ .

القرنين، وقصص موسى وفرعون، وحياة عيسى وموسى وسليمان وداود وأيوب ويعقوب ويوسف والأنبياء الآخرين ممَّن سلفوا، وتحدَّث القرآن عنهم غيبًا))[١].

وكان علي بن أبي طالب عليه السلام عالمًا حقيقة العلم بآيات القرآن الكريم، وهو الذي أخبر النبيُّ صلى الله عليه وآله عنه أنَّه يقاتل على تأويل القرآن الكريم كما قاتل النبيُّ على تنزيله، فعن أبي سعيد قال: ((كنَّا مع رسول اللَّه صلى الله عليه وآله فانقطعت نعله، فتخلَّف عليّ يخصفها، فمشى قليلًا ثمَّ قال: إنَّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، فاستشرف لها القوم وفيهم أبو بكر وعمر، قال أبو بكر: أنا هو؟ قال: لا، قال: عمر أنا هو؟ قال: لا، ولكن خاصف النعل، يعني عليًّا، فأتيناه فبشَّرناه فلم يرفع به رأسه، كأنَّه قد كان سمعه من رسول اللَّه))[٢]، فدلَّت هذه الرِّواية على أنَّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان عالمًا تمام العلم بعلوم الكتاب المجيد وعارفًا معرفة تامَّة بتأويله، إذا لو لم يكن كذلك فلا يصحّ أن يقال عنه أنَّه يقاتل على تأويل القرآن.

وقد ذكر السيوطيُّ أنَّ الإمام عليًّا عليه السلام قام، فَقَالَ: ((أَلا أحد يسألني عَن الْقُرْآن، فوَ اللَّه لَو أعلم اليَوم أحدًا أعلم بِهِ منِّي، وَإِن كَانَ من وَرَاء البحور لأتيته، فَقَامَ عبد اللَّه بن الكواء فَقَالَ: مَنْ ﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨] قَالَ: هم مشركو قُرَيْش أَتَتْهُم نعمَة اللَّه الإيمان فبدَّلوا قَومهمْ دَار الْبَوَار))[٣].

وكان للإمام علي عليه السلام أثره المميز في بيان كتاب اللَّه تعالى، فيذكر الماتريدي دوره في التفسير فيقول: ((الرواية عن علي بن أبي طالب كثيرة، وذلك راجع إلى أمور، أبرزها: الأوَّل: تأخَّرت وفاته عن الخلفاء السابقين، فقد كانت وفاته (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عام ٤٠ من هجرة النبيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ[وآله] وَسَلَّمَ - الثاني: وجدَ في زمن كثُرت فيه حاجة النَّاس إلى التَّفسير؛ وذلك لاتِّساع رقعة الإسلام، ودخول

(١) موسوعة أهل البيت عليهم السلام، الإمام محمد الجواد عليه السلام: ١٢٠-١٢١ .
(٢) المستدرك على الصحيحين: ٣/ ١٣٢، رواية رقم: ٤٦٢١ .
(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٥/ ٤٢ .

الأعاجم فيه حتَّى كادت تذوب بهم خصائص العروبة، ونشأ جيل من أبناء الصحابة كان في حاجة إلى علم الصحابة، الثالث: فِهْم علي (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) العميق للقرآن، وخصوبة فكره، وغزارة علمه، فكان أهلًا لأن يحمل عنه، ويدلُّ على هذا ما روى معمَّر عن وهب بن عبد اللَّه عن أبي الطفيل، قال: شهدتُ عليًّا يخطب وهو يقول: سلوني، فو اللَّه لا تسألوني عن شيءٍ إلَّا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب اللَّه، فو اللَّه ما من آية إلَّا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار؟ أفي سهل أم في جبل))[1].

وكثيرة هي الروايات والأحاديث والخُطب المتحدِّثة عن علم أمير المؤمنين عليه السلام وإثبات قصب السبق له في أكثر من علم مستحدث، فيُسأل (صلوات اللَّه وسلامه عليه) عن أمور علميَّة دقيقة فتكون لإجاباتها صفة غيبيَّة برؤية مستقبليَّة، ثمَّ بعد ذلك يأتي العلم الحديث يُثبتها ويُقرُّها على ما أخبر به سلام اللَّه عليه تمامًا.

كما في الرواية التي يسئل فيها سائل عن أمور غيبيَّة منها سؤاله ((عَن أوَّلِ ما خَلَقَ اللّهُ تَعالى؟ فَقالَ عليه السلام: خَلَقَ النُّورَ، قالَ: فَمِمَّ خُلِقَتِ السَّماواتُ؟ قالَ عليه السلام: مِن بُخارِ الماءِ، قالَ: فَمِمَّ خُلِقَتِ الأَرضُ؟ قالَ عليه السلام: مِن زَبَدِ الماءِ، قالَ: فَمِمَّ خُلِقَتِ الجِبالُ؟ قالَ: مِنَ الأَمواجِ))[2]. وهكذا يتبيَّن بعد مضي قرون عدَّة أنَّ هذه حقائق علميَّة ثبتت بالدَّليل والبرهان والتجربة الحسيَّة غالبًا، فتدلُّ على أنَّ اللَّه جلَّ وعلا قد أكرم هذا الإنسان العظيم، فكما اشتق اسمه من اسمه، فقد وهبه علمًا من علمه؛ ممَّا أهَّله بأن يتكلَّم بما لا يستطع أحدٌ أن يتكلَّم بكلام مثله، وأن تكون خصائص أسلوب كلامه تقترب إلى حدٍ كبير من أسلوب كتاب اللَّه تعالى، في مسايرته للعصور وفهم المعاصرين له فيها.

(١) تأويلات أهل السُّنَّة: ١/ ٢٩١ .
(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الصدوق: ١/ ٢١٨ .

المبحث الثاني

الإجراءات التطبيقيَّة لبيان مظاهر الإعجاز العلميّ في كلام أمير المؤمنين عليه السلام

المطلب الأوَّل: الإعجاز العلمي ومجالاته في كلام أمير المؤمنين عليه السلام

على الرَّغم من أنَّ القرآن الكريم جاء دستورًا للبشريَّة، ووظيفته الأساس تزكية الإنسان وإرساء الأُسس العقليَّة، بحيث عمل بنجاح لأن يتربَّع العقل على عرش التفكير الإنسانيّ، وعلى الرغم من أنَّ المحور الحقيقيّ الذي يهدف إليه القرآن هو السعادة الأخرويَّة، وعلى الرغم من أنَّه نزل في عصر يجهل فيه الإنسان كثيرًا عن الطبيعة وعلومها، فإنَّه تكلَّم بلغة العلم في أوج تطوّرها وفي قمَّة مراحلها، قبل الكشف عن كثير من العلوم والفنون، ومن إعجاز القرآن الكريم تحدِّثه بلغة العلم أنَّه يستعمل كلمات وأساليب لم تعد غريبة لأذواق معاصريه عند نزوله ولا مستنكرة نسبة لمعارفهم، وفي الوقت نفسه فهمَها جيل عصر الكشوفات العلميَّة، كلُّ جيلٍ بما يتلاءم والشوط العلميّ الذي ارتقى إليه، وهذا اللون من الإعجاز القرآني يواكب الآيات العلميَّة التي تتحدَّث عن الطبيعة وأسرارها[1]، فقد كان ((العلماء ولا يزالون يعنون بالآيات الكونية عناية فائقة، فينظرون في الكون، ويكشفون أسراره، ويوجِّهون الأبصار والأفكار إلى عجائبه، وقد عنى العلماء في العصر الحاضر بهذا الأمر عنايةً كبيرةً أيضًا، وقد ساعدهم على هذا التقدُّم العلميّ الكبير الذي حقَّقه البشر في هذا العصر؛ إذ غاصوا في أعماق البحار، وسبحوا في أجواء الفضاء، وعرفوا تركيب الذرَّة والخليَّة، وراقبوا الحيوان والنبات، وعرفوا طبائع الخلق، وأسرار الكون، وقد أُلِّفت في هذا مؤلَّفات كثيرة، منها كتاب (العلم يدعو إلى الإيمان) لـ: أكرستي موريسون، ومؤلِّفه من أعظم العلماء الغربيِّين الأمريكيِّين، وكتاب (اللَّه يتجلَّى في

(١) ظ: النجدي، حميد، الإعجاز العلمي في القران الكريم: ٥٤.

عصر العلم) لجون كلوفرمونس، وكتاب (الإنسان ذلك المجهول) لـ ألكسس كاريل))[١]، وغيرها من كتب العلماء المتخصِّصين بفروع المعرفة عامَّة.

فسيقتصر هذا المبحث على بيان بعض بمظاهر الإعجاز العلميِّ الوارد ذكرها في كلام أمير المؤمنين عليه السلام، بوصفها النماذج التطبيقيَّة للمنظومة المعرفيَّة لدى أمير المؤمنين عليه السلام الخاصَّة بهذا البحث، بناءً على ما أشار إليه القرآن الكريم وما يتعلَّق بمجموعة العلوم التي يمكن أن يصل إليها الإنسان، ويتمكَّن في توظيفها لبيان معجزة القرآن الكريم العلميَّة الحقَّة؛ إذ تنقسم على قسمين من الآيات، وهما ما يُعبَّر عنهما بـ(الآيات الآفاقيَّة والأنفسيَّة) قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، فلو تدبَّرنا في أنواع العلوم كلَّها ما خرجت في معانيها من قوله تعالى: ﴿فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾، فالآفاق الكونيَّة الخارجة عن ذات الإنسان، والآفاق الأنفسيَّة الداخلة في ذاته كفيلان بتمظهر الحقِّ بواسطتهما، ((وقد استخرج بعض علمائنا من القرآن ما يشير إلى مستحدثات الاختراع، وما يحقِّق بعض غوامض العلوم الطبيعيَّة، وبسطوا كلَّ ذلك بسطًا ليس هو من غرضنا فنستقصي فيه، على أنَّ هذا ومثله إنَّما يكون فيه إشارة ولمحة، ولعلَّ متحقِّقًا بهذه العلوم الحديثة لو تدبَّر القرآن، وأحكم النظر فيه، وكان بحيث لا تعوزه أداة الفهم، ولا يلتوي عليه أمر لاستخرج منه إشارات كثيرة تومئ إلى حقائق العلوم، وإن لم تبسط من أنبائها وتدلُّ عليها، ولم تسمها بأسمائها))[٢].

ومن تلك الاشارات العلميَّة نتج ما يُسمَّى في الوقت الحاضر بالإعجاز العلميّ، ومفهومه: إخبار القرآن الكريم أو السنة النبويَّة بحقيقةٍ أثبتها العلم التجريبيّ، وثبت عدم إمكان إدراكها بالوسائل البشريَّة في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله[٣]،

(١) الأشقر، نحو ثقافة إسلاميَّة أصيلة: ١٠٥.
(٢) الرَّافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ١٤٢.
(٣) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: ٥٢.

فهو إيجاد الموافقة بين المكتشفات الحديثة وما أشار إليه القرآن الكريم إجمالًا ومعرفة نسبة المطابقة بينهما.

ولا يخفى على المطَّلع ما للقرآن الكريم من شمولٍ علميٍّ للمجالات المعرفيَّة لدى الإنسان، ممَّا له علاقة في مظاهر الإعجاز العلميّ، فيمكن تلخيص هذه المجالات الإعجازيَّة التي تضمَّنها القرآن الكريم بالآتي[1]:

أوَّلًا – نشأة الكون: يشمل ما ذكره القرآن الكريم من حقائق علميَّة عالية المضامين حول كيفيَّة نشأة هذا الكون الفسيح، وإقرار حقيقة نهايته في يوم من الأيَّام.

ثانيًا – عالم الفلك: ويتضمَّن الفضاء الواسع، وما فيه من نجوم وكواكب وشمس وقمر وغيرها.

ثالثًا – عالم الأرض: ويشمل كرويَّة الأرض وتذليلها وتسخيرها للإنسان، وإلى ما حوته من جبال وبحار وأنهار وماء هواء ومكوِّنات في باطنها.

رابعًا – عالم النبات والحيوان: ويضمُّ ذكر الأنعام في القرآن الكريم وكيفيَّة إفادة الإنسان منها، وذكر بعض أنواع الطيور والحشرات والأحياء البحريَّة، وكيفيَّة إنبات الأزواج.

خامسًا – عالم الإنسان: ويحوي ما يتعلَّق بالإنسان منذ بداية خلقه وتسويته وتصويره بحواسه وحركته وفعله وحياته ومماته وما بعدها، واهتمَّ كذلك بالجانب النفسيّ للإنسان، وما بيَّنه من حقائق علميَّة نفسيَّة متعدّدة.

ولتوضيح فرضيَّات هذا المبحث لا بدَّ من تحليل بعض الأمثلة التطبيقيَّة بإيجاز تكون ضمن مجالات الإعجاز العلميّ آنفة الذكر، ومن هنا يمكن تقسيم هذا المبحث على مطالب، تتوزَّع ما بين القسم الأوَّل من الآيات وهي الآيات الآفاقيَّة،

(١) ينظر: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره البياني: ٣٩٩ .

والقسم الثاني وهي الآيات الأنفسيَّة التي حظيت بالحديث من أمير المؤمنين عليه السلام في بيان إعجازها العلميّ، وهذه التطبيقات الإجرائيَّة جاءت للتدليل على فرضيَّة البحث فحسب وعلى سبيل المثال لا الحصر، طلبًا للاختصار وتماشيًا مع ما يتناسب مع حجم البحث.

فلا يمكن لبحثٍ -بهذا الحجم- أن يستوفي جميع ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في مجال ما يتعلَّق بمظاهر الإعجاز العلميّ للقرآن الكريم، وأنَّ أمير المؤمنين عليه السلام -ولقاصريَّة معاصريه ومقصِّريتهم- لم يتمكَّن من نشر كلِّ العلوم في عصره ومدارستها، ولم يتحدَّث بجميع ما عنده من العلم؛ لعدم أهليَّة المتلقِّي ومحدوديَّتها آنذاك، يقول عليه السلام عن عظيم علمه الذي لا يستطيع البوح به كلّه لأولئك القوم الذين لا يملكون أدوت الفهم الكافية لاستيعابه؛ بل في حال البوح به لهم قد يؤدِّي إلى اضطرابهم وشكِّهم وتخلخل الإيمان في نفوسهم: ((بل اندمجتُ على مكنونِ علم، لو بحتُ به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطَّويّ البعيدة))[1]، أي: كاضطِّراب حبال الدلو في الآبار العميقة، وقوله: ((لو تعلمون ما أعلم ممَّا طوي عنكم غيبه، إذًا لخرجتم إلى الصّعدات))[2]. ولِما رأوا من تفجُّر العلوم من جوانبه، وإخباره بما لم يكونوا يتوقَّعونه على مستوى التصوّر، حسِب بعضهم أنَّه عليه السلام يعلم الغيب، فقد ورد أنَّه ((قال له بعض أصحابه: لقد أُعطِيتَ يا أمير المؤمنين علم الغيب، فضحك عليه السلام وقال للرجل وكان كلبيًّا: يا أخا كلب، ليس هو بعلم غيب، وإنَّما هو تعلُّم من ذي علم، وإنَّما علم الغيب: علم السَّاعة، وما عدَّده اللَّه سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]، فيعلم اللَّه سبحانه ما في الأرحام من ذكر أو أنثى، وقبيح أو جميل، وسخيّ أو بخيل، وشقيّ أو سعيد، ومن يكون في النَّار حطبًا، أو في الجنان

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ٥.
(٢) م. ن: ١١٤.

للنَّبيِّين مرافقًا، فهذا علم الغيب الَّذي لا يعلمه أحد إلَّا اللَّه، وما سوى ذلك فعلمٌ علَّمه اللَّه نبيَّه، فعلَّمنيه، ودعا لي بأن يعيه صدري، وتضطمّ عليه جوانحي))[1].

فكان عليه السلام قد تخطَّى حدود الزَّمان وتغلَّب على المحيط العلميّ آنذاك، واستطاع أن يُشبع نهم الطالب للحقيقة في ذلك العصر على قدر وسعه وتحمُّله لتقبلها، وما يتناسب مع إمكاناته المعرفيَّة من دون أن تكون وبالًا عليه، ولا يتحمَّل ما ليس بوسعه تحمّله، ومن يطَّلع على علمه عليه السلام -وإنْ لم يعرفه إمامًا مُنصَّبًا من قِبل اللَّه تعالى فيُؤمن به- لا يشكّ ولا يتردَّد في أن يصنِّفه على رأس قائمة عباقرة الأمم والحضارات في كلِّ العصور وأنَّه أنبغ النوابغ؛ لأنَّه استطاع أن يُنير الإنسانيَّة بعلومه، وأن يُفيد منه مَن هو باحثٌ عن الحقيقة بصدقٍ، أيًّا كانت عقيدته، سواء أكان معاصرًا له أم مَن يأتي من بعده.

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ١٢٦.

المطلب الثاني

كلام أمير المؤمنين عليه السلام وأثره في بيان الإعجاز العلميّ لكيفيَّة خلق الكون

بيَّن القرآن الكريم الكيفيَّة العمليَّة لبدء خلق السموات والأرض، ثمَّ ما تؤول إليه في يوم من الأيَّام، عبر عدد من الآيات القرآنيَّة، منها قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[الأنبياء: ٣٠]، ومنها كذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

فهذه الآيات الكريمة وغيرها التي وردت في سور متفرقة بمجموعها تشكل موضوعًا واحدًا، يتركَّز حول كيفيَّة بدء خلق السموات والأرض، وهي تمثِّل حقائق علميَّة لم يتوصَّل إليها العلم إلَّا حديثًا، فهي تُخبر أنَّ هذا الكون الذي نحيا فيه إذا تمَّت العودة إلى الوراء من الزمن، فلا بدَّ أن يتكدَّس على هيأة جرم واحد وهو مرحلة (الرتق)، وهذا يعني أنَّ السموات والأرض كانتا ملتصقتين في البدء على شكل جرم واحد، ومن ثمَّ فإنَّ هذا الجرم الابتدائيّ حدثت فيه عمليَّة انفجار بإذن اللَّه، وهي تمثِّل مرحلة (الفتق)، وهذا الانفجار أدَّى تحوّله إلى سحابة من دخان (مرحلة الدخان)، وهذا الدخان هو الذي خُلِقَت منه السموات والأرض (مرحلة الإتيان)، وأنَّ هذا الكون منذ اللحظة التي انفجرفيها ظلَّ في توسُّع مستمرّ، وهذا التوسُّع لا بدَّ له من التوقُّف في يوم من الأيَّام، وهذا اليوم لا يعلمه إلَّا اللَّه، ولا يتمُّ إلَّا بأمره تعالى، وأنَّ هذا التوقُّف سيؤدِّي إلى انطواء الكون على نفسه، والتكدُّس في جرم واحد كهيئة الجرم الابتدائيّ الأوَّل، الذي بدأ خلق السموات والأرض منه، وبهذه العمليَّة ستتكرَّر عمليَّة الانفجار، والتحوّل إلى الدخان الأوَّل، وبهذا تنتهي رحلة الحياة الدنيا وتبدأ الآخرة، وهذه الآيات الكريمة السابقة أعطت إشارات علميَّة عامَّة حول مراحل الخلق والفناء والبعث

من دون الدخول في التفاصيل، وقد أثبتت الدِّراسات العلميَّة في أواخر القرن العشرين أنَّ بداية الكون كانت على النحو الذي ذكر في الآيات السابقة، وبذلك يكون القرآن الكريم قد جاء بسبق علميّ في هذا المجال قبل البشر بقرون[١].

وفي تلك القرون التي تسمَّى بعصر النزول جاء أمير المؤمنين عليه السلام على بيان عمليَّة نشوء الكون في كلامه وخطبه، بما مُنح من لدن اللَّه سبحانه وتعالى من علم استطاع بوساطته أن يشفي غليل كلِّ من أراد المعرفة الحقيقيَّة، وكان ذلك التفصيل على مستويات مختلفة، كلٌّ بحسب علمه وثقافته وعصره، من دون أن يحمِّل أذهان المتلقِّين ما لا تحتمل من العلوم، وبما يحقِّق الهدف المرجوّ من تدبُّر القرآن الكريم المأمور به الإنسان المكلّف.

فيقول الإمام علي عليه السلام عن بداية نشأة الكون التي أشار إليها القرآن الكريم: ((ثمَّ أنشأ سبحانه فتق الأجواء، وشقّ الأرجاء، وسكائك الهواء، فأجرى فيها ماء متلاطما تيَّاره، متراكمًا زخَّاره، حمله على متن الرِّيح العاصفة، والزّعزع القاصفة، فأمرها بردِّه وسلَّطها على شدّه، وقرنها إلى حدِّه، الهواء من تحتها فتيق، والماء من فوقها دفيق، ثمَّ أنشأ سبحانه ريحًا أعتقم مهبّها، وأدام مربّها، وأعصف مجراها، وأبعد منشأها، فأمرها بتصفيق الماء الزَّخَّار، وإثارة موج البحار، فمخَّضته مخض السَّقاء، وعصفت به عصفها بالفضاء، تردّ أوَّله إلى آخره، وساجيه إلى مائره، حتَّى عبَّ عبابه، ورمى بالزَّبد ركامه، فرفعه في هواء منفتق، وجوّ منفهق، فسوَّى منه سبع سماوات، جعل سفلاهنَّ موجًا مكفوفًا، وعلياهنَّ سقفًا محفوظًا، وسمكًا مرفوعًا، بغير عمدٍ يدعمها، ولا دسارٍ ينظمها، ثمَّ زيَّنها بزينة الكواكب، وضياء الثَّواقب، وأجرى فيها سراجًا مستطيرًا، وقمرًا منيرًا في فلكٍ دائر، وسقفٍ سائر، ورقيمٍ مائر))[٢].

(١) ينظر: من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن: ٨٢ – ٨٤.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١ .

فكلام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عن خلق الكون في مواضع عدَّة من نهج البلاغة، يتلخَّص بنظريَّة كليَّة -التي لم يتوصَّل العلم الحديث إلى معرفة كلِّ جوانبها بعد- تتمثَّل بالآتي[١]: إنَّ أوَّل الخلق كان للفضاء الذي فتقه اللَّه من العدم، وشقَّ فيه النواحي والأرجاء وطرق الهواء، ثمَّ خلق سبحانه في هذا الفضاء سائلًا كثيفًا متلاطمًا، من نوع خاصّ، والمقصود بالماء هنا، الجوهر السائل الذي هو أصل كلِّ الأجسام، ثمَّ سلَّط عليه ريحًا قويَّة عاصفة حتَّى ارتفع فخلق منه الأجرام العُليا، بعد أن تلمَّه إلى بعضه، وتحجزه عن الانتشار والاندثار، ثمَّ خلق سبحانه ريحًا عقيمة من نوع آخر، سلَّطها على ذلك السائل من جهة واحدة، فبدأت بتصفيقه وإثارته، حتَّى مخَّضته مخض السِّقاء، وبعثرته في أنحاء الفضاء كالدخان، ومن الغاز الناتج (وهو الهدروجين على ما يظنّ) خلق اللَّه السماوات والنجوم والكواكب، وما زالت الفراغات بين عناصر المجرَّات مليئة بهذا الغاز، وقد تمَّ تشكُّل النجوم من هذا الغاز بتجمُّع دقائقه في مراكز معيَّنة مشكَّلة أجرامًا، وذلك من طريق دورانها حول هذه المراكز، وبتبرُّد هذا الغاز وتحوّله إلى عناصر أكثر تعقيدًا تحوَّلت الغازات إلى سوائل كما في الشمس، ثمَّ تحوَّلت السوائل إلى جسم صلب كما في الأرض والكواكب السَّيارة.

فيتحدَّث أمير المؤمنين عليه السلام عن كيفيَّة خلق السَّماء بقوله: ((وناداها بعد إذ هي دخان، فالتحمت عرى أشراجها، وفتق بعد الارتتاق صوامت أبوابها، وأقام رصدًا من الشُّهب الثَّواقب على نقابها، وأمسكها من أن تمور في خرق الهواء بأيده، وأمرها أنْ تقف مستسلمة لأمره))[٢].

وهذا ما عليه العلم الحديث اليوم، إذ ((يتصوَّر علماء الفلك اليوم أنَّ أوَّل نشوء الكون كان نتيجة انفجار كبير شاع منه دخان مؤلّف من دقائق ناعمة،

(١) ينظر: تصنيف نهج البلاغة: ٧٧٧ – ٧٨٨ .
(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٨٩

وساد عندها في الكون سكون وظلام دامس، ثمَّ بدأت الذرَّات تتجمّع في مناطق معيَّنة مشكّلة أجرامًا، ما لبثت أن بدأت فيها التفاعلات النوويَّة، التي جعلت هذه الأجرام نجومًا مضيئة، وفي قول الإمام (فالتحمت عرى أشراجها)، تشبيه لنجوم المجرَّة بالحلقات المرتبطة ببعضها بوشاج الجاذبيَّة والتأثير المتبادل، وبعد نشوء النجوم الملتهبة الدائرة بدأت تقذف بالحمم التي شكَّلت الكواكب السيارة كالأرض وغيرها، وهو ما عبَّر عنه الإمام عليه السلام بالفتق بعد الارتتاق))[1].

ويأتي العلماء في العصر الحاضر بعد علي بن أبي طالب عليه السلام بقرون؛ ليحتفلوا بما استنتجوا وما توصَّلوا إليه، وما أدركوا من حقائق علميَّة ساعدهم في تحصيلها تكامل الخبرات البشريَّة السَّابقة وما تمتَّه الخبرات اللاحقة؛ ليصوا إلى ما وصلوا إليه، في حين أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان قد سبقهم في إجمال القول في تلك الحقائق العلميَّة؛ لأنَّه منار العلم ومنبع فيوضات العلوم الإلهيَّة.

المطلب الثالث

كلام أمير المؤمنين عليه السلام وأثره في بيان الإعجاز العلميّ لخلق السَّماوات ورفعها

يشير القرآن الكريم إلى أنَّ السماوات مرفوعة من دون عمدٍ مرئيَّة، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]، وقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [لقمان: ١٠].

إنَّ قوله (ترونها) وصف لـ(عمد) وهي جمع عمود، والضمير في (ترونها) يرجع إلى الأقرب الذي هو (عمد) لا إلى السَّماوات التي هي أبعد، ومعنى الآية أنَّه سبحانه رفع السماوات من دون أعمدة مرئيَّة، وهو لا ينفي العمود بتاتًا، وإنَّما ينفي العمود المرئيّ، ولازم ذلك وجود العمد في رفع السَّماوات من دون أن يراها البشر، ورفع صرح هذا البناء الشامخ من دون الاستعانة بدعائم

(١) تصنيف نهج البلاغة: ٧٧٩.

مرئيَّة يكشف عن تناغم دقيق في عالم الخلقة، ولولاه لتداعت أركان العالم وانهارت، وهذا النظام الرائع تقاسمته قوَّتا الجاذبيَّة والطاردة (النابذة)، وفي ظلِّ التعادل القائم بينهما انتظمت حركة النجوم والكواكب والمجرَّات في مساراتها، فالجاذبيَّة قانون عام جارٍ على جميع الأجسام في هذا العالم، وهي تتناسب عكسيًّا مع الحدِّ الفاصل بين الجسمين، إذ تتعاظم كلَّما تضاءلت المسافة، وتتضاءل كلَّما ازدادت الفاصلة، فلو دارت رحى النظام الكونيّ الدقيق على قوَّة الجاذبيَّة فقط لارتطمت الكواكب والنجوم بعضها مع بعض ولتداعى النظام السائد؛ ولكن في ظلِّ قانون الطرد يحصل التعادل المطلوب، وقوَّة الطرد تلك تنشأ من الحركة الدورانيَّة للأجسام، ومهما يكن من أمر ففي ظلِّ هاتين القوَّتين تبقى الملايين من المنظومات الشمسيَّة والمجرَّات معلَّقة في الفضاء من دون عمد، وتحول من دون سقوطها أو ارتطامها أو ابتعادها أو فنائها[1]. وهذا هو المعنى الذي أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: ((هذه النجوم التي في السماء مدائن مثل المدائن التي في الأرض، مربوطة كلّ مدينة إلى عمودين من نور))[2].

وما أروع هذا التعبير الذي لا يستوحشه إنسان ذلك العصر وينطبق تمامًا مع مكتشفات العصر الحديث، فالجاذبيَّة نوع من أنواع الطاقة والنور أيضًا نوع من أنواع الطاقة، ثمَّ إنَّ الامام عليه السلام يكشف حقيقة هذه الأعمدة غير المرئية بما لا يدع مجالًا للشكِّ في أنَّها هي المقصودة في قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾، ويجعل أمير المؤمنين عليه السلام عظمة رفع السَّماوات بغير عمدٍ مرئيَّة من لوازم معرفة عظمة الخالق عزَّ وجلَّ، فيقول: ((فمن شواهد خلقه خلق السَّموات موطَّدات بلا عمد، قائمات بلا سند))[3].

(١) ينظر: مفاهيم القرآن: ١٠/ ٢٣.
(٢) ينظر: مجمع البحرين: مادة كوكب.
(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٠.

وهذه إشارة علميَّة من القرآن الكريم في بيان ماهيَّة هذه الأعمدة الرافعة للسَّماوات من أنَّها غير مرئيَّة؛ ولكنَّ هذه الحقيقة العلميَّة لم يكن بالإمكان التدليل عليها إلى وقتٍ متأخِّر، حتَّى جاء العلم الحديث وما يحمله من تقدُّم فأثبت ذلك باليقين القاطع، وأمير المؤمنين عليه السلام وظَّف منظومته المعرفيَّة في كلامه باستعمال التعبير المناسب لبيان هذه الحقيقة العلميَّة المُكتشفة حديثًا، وبما يمكن لمتلقِّي هذا الكلام وقت صدوره أن يفهم المراد، ويستعين به على فهم الآيات القرآنيَّة، بما يأنس ذهنه ويألفه حسّه؛ لأنَّه يُدرك أنَّ الأشياء المرتفعة عن الأرض لابدَّ أنَّ تستند إلى مستند يقتضي رفعها، وبما أنَّ السموات بنجومها وشمسها وقمرها مرتفعة عن الأرض، فلابدَّ لها من مستند، وهذا المستند هو ما عبَّر عنه أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه عمود من نور.

المطلب الرَّابع

كلام أمير المؤمنين عليه السلام وأثره في بيان الإعجاز العلمي في كيفيَّة خلق الجبال ودورها الحياتي على الأرض

تحدَّث القرآن الكريم في مجموعةٍ من آياته عن طبيعة خلق الأرض وبسطها وما تضمَّنته من جبالٍ راسيات، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٦-٧].

وأشار القرآن الكريم إلى علَّة وجودها على سطح الأرض في التثبيت والاستقرار، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥] وكذلك أشار إلى عظمة تلك الجبال.

وعند اطِّلاعنا على ما جادت به الكتب العلميَّة عن الجبال نجد أنَّ الجبل وتد، ثلثاه مغروس في الأرض عبر طبقاتها المتعدِّدة، وفي أثناء الدوران لا

تزاح الطبقات المتباينة بعضها عن بعض بسبب أنَّ الجبل يربطها جميعًا، ولها علاقة بطقس الأرض، فتبَدُّلُ الطقس والمناخ متعلِّق بالجبال، وبفتحاتها؛ لأنَّها مصدَّات للرياح، تصدّها وتوقفها، والجبال تُمثِّل مستودعات للأنهار، وتُسهم في استقرار الأرض بعد أن عرفنا أنَّها كرة متحرِّكة، فهذه الكرة مع دورانها السريع لابدَّ أن تضطرب، أمَّا إذا وزِّعت الجبال توزيعًا دقيقًا محكمًا على سطحها فإنَّ هذا التوزّع يؤدِّي إلى استقرارها مع دورانها، فلا تضطرب في أثناء الدوران السريع؛ إذ تقطع الأرض في الثانية الواحدة ثلاثين كيلومترًا، تدور حول نفسها بسرعة ألف وستمائة كيلو متر في الساعة، ومع ذلك تبني البناء فلا يتشقق، ولو أنَّها اضطربت بميزان الزلازل بأقلِّ وحدة لتهدَّمت الأبنية[١].

وكلُّ ما تقدَّم وأمور أخرى -لا يسع المقام لذكرها- هي من مكتشفات العصر الحديث؛ لأنَّها جاءت على شكل إشارات كليَّة في القرآن الكريم، ولم يُفصَّل فيها، وفي الوقت نفسه نجد أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام سبق التقدُّم العلميّ الحاصل اليوم، واستطاع أن يُفصِّل بعض الأمور الإجماليَّة لحقيقة الجبال وخلقها بما يتناسب مع تلك الحقبة الزمنيَّة، وهذه التفصيلات تحمل في طيَّاتها إجمالًا آخرًا ينتظر الزمن أن يأتي على بيانه.

فعند حديثه سلام اللَّه تعالى عليه عن الأرض يقول: ((جبل جلاميدها ونشوز متونها وأطوادها، فأرساها في مراسيها، وألزمها قرارتها فمضت رؤوسها في الهواء، ورست أصولها في الماء، فأنهد جبالها عن سهولها، وأساخ قواعدها في متون أقطارها ومواضع أنصابها، فأشهق قلالها، وأطال أنشازها، وجعلها للأرض عمادًا، وأرّزها فيها أوتادًا، فسكنت على حركتها من أن تميد بأهلها أو تسيخ بحملها أو تزول عن مواضعها))[٢].

(١) ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة: ٢/ ٦٢-٦٤.
(٢) نهج البلاغة: الخطبة: ٢١١.

فيؤكِّد الإمام عليه السلام أنَّ اللَّه سبحانه حين خلق الجبال في الأرض، جعل لكلِّ جبلٍ منها جذرًا في الأرض هو الوتد، ولهذا الوتد وظيفتان الأُولى: أنَّه يحفظ الجبل من التهافت والانزلاق، والثانية: أنَّ الوتد المغروس في أديم الأرض يمسك طبقات الأرض نفسها، بعضها ببعض، فيمنعها من الاضطراب والمَيَدان، تمامًا كما نفعل عندما نمسك الصفائح المعدنيَّة ببعضها من طريق غرس مسامير قويَّة فيها، هذه وظيفة الجبال بالنسبة لاستقرار الأرض، أمَّا وظيفتها بالنسبة إلى استقرار حياة الإنسان فوجود الجبال على الأرض يحافظ على التربة والصخور الموجودة على سطح الأرض من الزوال والانتقال، ويحفظها من تأثير الرياح العاصفة بها، فيتسنَّى بذلك إقامة حياة إنسانيَّة رتيبة في الجبال والسهول والوديان، ولو كان سطح الأرض مستويًا من دون جبالٍ لكان عرضة للتغيُّر[1].

وعندما يتحدَّث القرآن الكريم عن طبيعة الماء النابع من الجبل يسمِّيه (فراتًا) كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٧]، ويتكوَّن هذا الماء بعد أن تتفجَّر العيون في الجبال من لدن الينابيع لتشكِّل الجداول والأنهار، فتمثِّل -الجبال- مكامن الماء المجموع في الشتاء من الأمطار والثلوج، والمنبع المتدفِّق منه الماء العذب البارد طوال الصيف، نجد أنَّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يُبيِّن علاقة الجبال واقترانها ببعض مفاصل الحياة.

فيقول عليه السلام: ((فلمَّا سكن هيج الماء من تحت أكنافها، وحمل شواهق الجبال البذّخ على أكنافها، فجَّر ينابيع العيون من عرانين أنوفها، وفرَّقها في سهوب بيدها وأخاديدها، وعدَّل حركاتها بالرَّاسيات من جلاميدها، وذوات الشَّناخيب الشّمّ من صياخيدها، فسكنت من الميدان برسوب الجبال في قطع أديمها وتغلغلها، متسرِّبة في جوبات خياشيمها، وركوبها أعناق سهول الأرضين وجراثيمها،

(١) ينظر: تصنيف نهج البلاغة: ٧٨٣.

وفسح بين الجوِّ وبينها، وأعدّ الهواء متنسِّمًا لساكنها))[١]، أي: أخرج سبحانه الماء ينابيع من أعالي الجبال، بعد أن تفجَّرت الينابيع اتَّخذ الماء سبيله في السهول والسواقي والأودية، وبذلك تعدَّلت حركة الأرض ودورانها بسرعة محدَّدة، وفي اتِّجاه معيَّن، وعلى نظام ثابت من يوم تكوَّنت إلى ما شاء اللَّه، وللجبال الراسيات أثرها في هذا النظام، ولولاها لمادت الأرض بأهلها[٢].

المطلب الخامس:

كلام أمير المؤمنين عليه السلام وأثره في بيان الإعجاز العلميّ لخلق الموجودات من الذرَّة

هناك إشارات قرآنيَّة لمسألة التركيب الذريّ الذي ما اكتُشِفَ إلَّا بالعصور المتأخِّرة عن عصر نزول القرآن الكريم، ومن هذه الإشارات ما ورد في قوله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، ولدى قراءة هذه الآية بالمنطلقات الفكريَّة لما يسمَّى بالعلوم التطبيقيَّة نجد أنَّ ((علماءَ الذرَّة دُهشوا من هذه الآية...علامَ تعود (كُلٌّ)؟ هذه الآية تعود على كلِّ شيءٍ خَلَقَه اللَّهُ عزَّ وجلَّ، فالمنبرُ مثلًا فيه ذراتٌ، وفي الذرَّاتِ نتروناتٌ تدورُ حول نفسها، ونظامُ الذَّرات كنظام المجرَّات، وكلُّ شيءٍ تقعُ عليه عينُك مُؤَلَّفٌ من جزيئات، والجُزَيْءُ مؤلَّفٌ من ذرَّات، والذرةُ مؤلَّفةٌ من نواةٍ، ومن كهاربَ لها مداراتٌ، ولها سرعةٌ ثابتةٌ، هذه الآية التي تشيرُ إلى الذرة، قال تعالى: ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ﴾، أي: كلُّ شيءٍ خَلَقَه اللَّهُ: ﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، ذرَّاتُ الصَّخرِ، الحجَرِ، الخشب، كأسُ الماءِ، لوحُ البلَّور، الطاولةُ، كلُّ شيءٍ تقعُ عينُك عليه إنَّما هو جسمٌ مؤلَّفٌ من جزيئاتٍ، والجُزَيْءُ من ذرَّاتٍ، والذرَّةُ من نواةٍ؛ وكهارب تدور حول النواة))[٣].

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ٩١.
(٢) ينظر: مغنية، في ظلال نهج البلاغة: ٢/ ٣٣.
(٣) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: ٢/ ٢٢.

ومن الآيات ذات الصلة بعلم الذرَّة قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]، فقد جاء في بعض كتب التفسير المعاصرة ما يُشير إلى معنى التركيب الذريّ؛ إذ ((يدلُّ ظاهر الآية على أنَّ اللَّه سبحانه خلق في كلِّ جنس من الكائنات زوجين ذكرًا وأنثى، سواء أكان إنسانًا أم حيوانًا أو نباتًا أم جمادًا؛ لأنَّ كلمة (كلّ شيء) تعمُّ الجميع، ولا ندري هل اكتشف العلماء هذه الحقيقة أو أنَّهم ما زالوا في طريق الوصول إليها ؟ والذي قرأناه من أقوال العلماء في هذا الباب أنَّ ما من ذرَّة في الكون إلَّا وهي مؤلَّفة من كهيرب موجب وسالب، أي أنَّها تحتوي على عنصر يجذب وآخر يدفع، فهل تنطبق الآية على ذلك؟))[١].

والآية الأخيرة آنفة الذكر هي عين ما استشهد به أمير المؤمنين عليه السلام بعد حديثه عن قدرة اللَّه عزَّ وجلَّ في التأليف بين أضداد الأشياء، وجاء في طيَّات حديثه بيان لتلك الآية إشارة إلى علم لم يولد إلَّا بعد قرون؛ إذ يقول: ((مؤلَّف بين متعادياتها، ومفرَّق بين متدانياتها، دالَّة بتفريقها على مفرِّقها، وبتأليفها على مؤلِّفها، وذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]))[٢].

والمعنى الظاهر للكلام أنَّ اللَّه سبحانه وتعالى جمع بقدرته وحكمته ما بين الأمور المعروف عنها أنَّها في غاية التباين والتباعد، ولم يفصح الإمام عليه السلام عن المضامين العلميَّة العميقة في كلامه؛ بل أجراه مجرى الكلام البليغ الذي يتناسب والمرحلة آنذاك؛ وذلك لأنَّ عقول الناس في ذلك الزمان لا تتحمَّل أكثر من هذا؛ ولكن ممَّا يستوقف الذهن إشارة الأمير عليه السلام إلى هذا العلم الحديث -التركيب الذريّ- في ذلك الوقت على حين ((يقول أينشتاين: لقد تمكَّن بنو البشر وبعد مرور قرون متمادية من التعرُّف إلى أسرار تركيب الذَّرَّة، وتبيَّن لهم أنَّ هذا العالم المادِّي إنَّما يتألَّف من الذَّرَّات الناتجة بدورها من اتِّحاد الألكترونات بالبروتونات،

(١) التفسير الكاشف: ٧/ ١٥٧ - ١٥٨.
(٢) الكافي: ١١/ ١٣٨، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١٠/ ٢٧١.

وأنَّ وجود المادَّة وبقائها رهين بدوام تلك الآصرة التي تربط بين أجزاء الذَّرَّة المتكوِّنة من جسمين متضادَّين (سالب وموجَب)؛ لكنَّ الباحث المتتبِّع إذا نظر بدقَّة وتفحَّص في كلام الإمام عليّ عليه السلام في تفسيره للآية الشريفة(٤٩) من سورة الذاريات، سيندهش حين يرى بأنَّه عليه السلام قد سبق علماء عصرنا بـ(١٤) قرنًا من الزمان، بالتعرُّف إلى أسرار تركيب الذَّرَّة، حيث جاء في أحاديث هذا الباب أنَّ الإمام عليه السلام أشار إلى ما يمكن انطباقه اليوم بـ (الإلكترون) و (البروتون)، وتطرَّق إلى الآصرة الموجودة بين هذين الجسمين بشكل دقيق للغاية))[1].

ويُرجِع بعض الباحثين المعاصرين -من جمهور المسلمين- الفضل في اكتشاف النظام الشمسيّ وعلاقته بالتركيب الذريّ إلى أمير المؤمنين عليه السلام في أثناء مناظرتهم للمسيحيين؛ إذ يقولون ما نصَّه: ((إنَّ أساسيَّات العلوم الذريَّة الحديثة قد جاءتكم من العالم الإسلاميّ، أما قرأتُم قول جون أونيل في كتابه (الذرَّة الجبَّارة) الذي أصدره عام ١٩٤٥ م، وجاء فيه: إنَّ إحدى النقط المتلألأة في القرون الوسطى تأتي من العالم الإسلاميّ، حيث نجد ما سطَّره قلم علي أبو الحسن - صهر محمد - الذي كتب يقول: إذا فلقت الذرَّة - أي ذرة - تجد في قلبها شمسًا، إنَّ هذا يدلُّ على أنَّ بصيرته الصافية قد استطاعت أن تلمح حقيقة النظام الشمسيّ الحديث في الذرَّة))[2].

وبفضل أمير المؤمنين عليَ بن أبي طالب عليه السلام ومنظومته المعرفيَّة، بات المسلمون يفتخرون -بحق- على غيرهم من أصحاب الدِّيانات والمعتقدات المتعدِّدة، بأنَّ فكرة التركيب الذريّ وعلاقته بالنظام الشمسي متأصِّلة في التُّراث الإسلاميّ الأوَّل؛ لأنَّ كلَّ ما عند أمير المؤمنين عليه السلام من علم فهو علم علَّمه اللَّه نبيَّه صلى الله عليه وآله، فعلَّمه إيَّاه ودعا له بدعوته التي لا تُردّ بأن يعيه صدره، وتنضمّ عليه جوانحه، وقد استجيبت الدعوة، وتحقَّقت الإرادة الإلهيَّة في أن يسبق عليُّ بن أبي

(١) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسُّنَّة والتاريخ: ١٠/ ٢٩٦.
(٢) مناظرة بين الإسلام والنصرانيَّة: ١٧٠.

طالب عليه السلام القرون بعلمه، إلى أن وفّق بعض المفكِّرين لبيان هذه الحقائق العلميَّة بعد أن أجروا التجارب، وصنعوا العدد والأدوات وكيَّفوا الأجواء، وتبادلوا المعلومات والخبرات، وعقدوا المعاهدات والاتفاقات، وبعد محاولات عدَّة وما صحبها من تطوّرات بعد الفشل والنجاح لمرَّات ومرَّات، فكانت النتيجة أنَّ أثبتوا ما تفوَّه به أبو تراب عليه السلام.

المطلب السَّادس

كلام أمير المؤمنين عليه السلام وأثره في بيان الإعجاز العلميّ في خلق الإنسان

وصف القرآن الكريم مراحل خلق الإنسان في رحم أُمِّه بدقَّةٍ متناهية بوصفٍ لم يستطع الإنسان اكتشاف تفاصيله إلَّا حديثًا، وقد أثبت علم الأجنَّة الحديث أنَّ الجنين يمرُّ بهذه المراحل تباعًا بصورة متسلسلة كما وصفها القرآن الكريم بالضبط، وأنَّ بعض المفردات المستعملة في النصِّ القرآنيّ بقيت تُستعمل في الجانب الطبيّ على دلالتها اللغويَّة.

ولكن تبقى هذه النصوص بحاجة إلى شخصٍ يفجِّر كنوزها ويستخرج لألأها، وتكون لهذا الشخص الرخصة التامَّة في ذلك، فكان أمير المؤمنين عليه السلام خير من أدَّى وظيفته الإلهيَّة في تبيين كتاب اللَّه تعالى بكلامٍ ينفع في أكثر من عصر وإنْ تقدَّمت العصور وتطوَّرت معارفها.

فالحديث عن الخلق الأوَّل لا يتمُّ إلَّا بالوحي من خالق الإنسان نفسه، ونجد هذا الأمر متحقِّق في عددٍ من نصوص الوحي المباشر وهو القرآن الكريم، ففي بعض آياته إشارات علميَّة تُنبأ عن أصل الخليقة البشريَّة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦] وقال سبحانه: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ [الصافات: ١١]، وقوله سبحانه الشامل

للخلق الأوَّل للإنسان والخلق الآخر: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٧-٩]، وقوله عزَّ من قائل: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزمر: ٦]

فهل يستطيع الإنسان الحديث عن ذلك؟ إلَّا أن يدَّعي -إدعاءً- شهادته لخلق نفسه أو خلق غيره، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]، الواضح والمسلَّم به أنَّ الأمور الغيبيَّة لا يمكن لأحد أن يتحدَّث بها، إلَّا إذا ثبُت له الأحقيَّة في الحديث عن ذلك بجوازٍ مشروع يُستدلُّ عليه بالدَّليل، ومن ذلك الغيبِ الحديثُ عن العلم بأصل الإنسان الأوَّل، و كيف خُلق؟ ومن أيِّ شيءٍ خلق؟ إذ لم يُولد كما يولد النَّاس بعده من تزاوج الذكر والأنثى؟

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في ما له علاقة باستقرار الجنين المعبَّر عنه في القرآن الكريم بالظُّلمات الثلاث: ((الَّذي أنشأه في ظلمات الأرحام، وشغف الأستار نطفة دهاقًا، وعلقة محاقًا، وجنينًا وراضعًا، ووليدًا ويافعًا، ثمَّ منحه قلبًا حافظًا، ولسانًا لافظًا، وبصرًا لاحظًا، ليفهم معتبرًا، ويقصر مزدجرًا))[1]، وكذلك حديثه في موضع آخر: ((أيُّها المخلوق السَّويّ، والمُنشأ المرعى في ظُلمات الأرحام، ومضاعفات الأستار، بدأت من سلالة من طين، ووضعت في قرار مكين، إلى قدر معلوم، وأجل مقسوم، تمور في بطن أمِّك جنينًا، لا تحير دعاء، ولا تسمع نداء، ثمَّ أخرجت من مقرِّك إلى دار لم تشهدها ولم تعرف سُبل منافعها، فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدي أمِّك؟ وعرَّفك عند الحاجة مواضع طلبك وإرادتك؟))[2].

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٨١.
(٢) م. ن: ١٦١.

ولا شكّ في أنَّ اللَّه تعالى حين يعرض قضيَّة غيبيَّة، فإنَّه يُثير طريق العقل دائمًا نحسّها ونشهدها؛ لتقريب القضيَّة الغيبيَّة التي يتحدَّث عنها، وهنا الحديث عن خلق الإنسان من تراب، ثمَّ من طين، ثمَّ من حمأ مسنون، ثمَّ من صلصال كالفخار، ثمَّ نفخ فيه من روحه فإذا هو إنسان، فإذا أخذنا التُّراب، ثمَّ نضيف إليه الماء يصبح طينًا، ثمَّ يترك لتتفاعل عناصره فيصبح حمًا مسنونًا كالذي يستخدمه البشر في صناعتهم، وبعد أن يجف فيصبح صلصالًا، وهذه أطوار خلق الجسد البشريّ، والبشر خُلقوا من الأرض، فإذا جئنا للواقع فالإنسان مقوِّمات حياته من الأرض أي من الطين، وهذه القشرة الأرضيَّة الخصبة هي التي تعطي مقوِّمات الحياة التي يعيشها الإنسان، فالذي ينمِّي المادَّة التي خلق الإنسان منها هو من نوع هذه المادَّة نفسها وهي الطين، وقد حلَّل العلماء جسد الإنسان فوجدوه مكوَّنًا من (١٦) عنصرًا، أوَّلها الأوكسجين وآخرها المنغنيز، والقشرة الأرضيَّة الخصبة مكوَّنة من العناصر نفسها، إذن عناصر الطين المخصب هي عناصر الجسم البشريّ الذي خلق منه نفسها[١]، و((المراد بالخلق من تراب انتهاء خلقة الإنسان الى الأرض، فإنَّ مراتب تكون من مضغة أو علقة أو نطفة أو غيرها مركبات أرضيَّة تنتهي الى العناصر الأرضيَّة))[٢]، قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

وعلى العلم الوحيانيّ من لدن اللَّه سبحانه وتعالى اعتمد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في بيان الآيات القرآنيَّة المتحدِّثة عن أصل الإنسان، فيقول في صفة الإنسان الأوَّل، وهو آدم عليه السلام ما نصَّه: ((ثمَّ جمع سبحانه من حزن الأرض

(١) ينظر: معجزة القرآن: ٣١-٣٢.
(٢) الميزان في تفسير القرآن: ١٦/ ١٤٢.

وسهلها، وعذبها وسبخها، تربة سنّها بالماء حتَّى خلصت، ولاطها بالبلَّة حتَّى لزبت، فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول، وأعضاء وفصولًا جمدها حتَّى استمسكت، وأصلدها حتَّى صلصلت، لوقت معدود، وأمد معلوم، ثمَّ نفخ فيها من روحه فمثلت إنسانًا ذا أذهان يجيلها، وفكر يتصرَّف بها، وجوارح يختدمها، وأدوات يقلِّبها، ومعرفة يفرق بها بين الحقِّ والباطل، والأذواق والمشامّ، والألوان والأجناس، معجونًا بطينة الألوان المختلفة، والأشباه المؤتلفة، والأضداد المتعادية، والأخلاط المتباينة، من الحرِّ والبرد، والبلَّة والجمود))[1].

فيتحدث الإمام عليه السلام عن بداية خلق آدم التي أجمل القرآن الكريم القول فيها بضرب مثلًا في خلق النبيِّ عيسى عليه السلام وهو من أروع ما يكون، يقول عزَّ وجلَّ في ذلك: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]؛ ولكن أمير المؤمنين عليه السلام يحاول أن يُبصِّر الناس على كيفيَّة خلق آدم المضروب به مثل عيسى عليه السلام.

ومن الواضح في الأمثلة التطبيقيَّة لبيان الإعجاز العلميّ أنَّ الإنسان احتاج إلى قرون حتَّى توصَّل إلى هذه الحقائق العلميَّة الأخيرة، ولا نعلم ما سيُخبر به الزمن اللاحق عن تلك الحقائق نفسها، وفي الوقت نفسه نُدهش عندما نجد أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يتحدَّث وكأنَّه اليوم معنا يخاطب العلماء المتخصِّصين بكلماتٍ هي ذات الكلمات التي تحدّث بها مع أناسٍ ليس لهم عهد بما عند أُولئك العلماء المتخصِّصين، لم يُضف حرفًا واحدًا على جُمل عبارته الكلاميَّة وخطبه، وفي ذلك أدلَّ دليل على أنَّه عليه السلام استقى هذه المعرفة من عينٍ خاصَّةٍ بالعلم الإلهيّ، فكوَّنت له تلك المنظومة المعرفيَّة الرائدة في كلِّ عصر.

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١.

المطلب السَّابع:

كلام أمير المؤمنين عليه السلام وأثره في بيان الإعجاز العلميّ في خلق الحيوان

يمكننا الوقوف على أحد أمثلة الإعجاز العلميّ في القرآن الكريم في مجال الحيوان، وقد كثر عدد الآيات التي ورد فيها ذكر الحيوانات، ويوجد عدد من سور القرآن الكريم سُميت بأسماء الحيوانات نحو: (النمل، النحل، العنكبوت، الفيل، والأنعام)، وتنوَّعت الحيوانات التي ذكرت في القرآن الكريم، فمنها الحيوانات الأليفة الداجنة، والحيوانات الوحشيَّة مثل الذئب والسبع والفيل، ومنها الطيور مثل الغراب، الهدهد، ومنها الحشرات مثل النمل والقمل والبعوض والذباب والأرضة، ومنها الحيوانات المائيَّة مثل الحوت والسمك، وغيرها.

إنَّ الحديث عن بعض الحيوانات لم يكن بعيدًا عن نهج أمير المؤمنين عليه السلام، فقد تكلَّم عن الخفَّاش وطبيعة خلقه وحياته، وأبدع في وصف دقائق الأمور الخاصَّة بالطاووس، وكذلك تحدّث عن خلق الجرادة وأجزاء جسمها، إلى غير ذلك من الحيوانات الأخرى. وكان أسلوب الإمام علي عليه السلام في الحديث عن الحيوانات بما يرضي المتلقِّين على اختلاف توجُّهاتهم العقديَّة والفكريَّة -المؤمن منهم والجاحد- في محاولة منه عليه السلام لتقريب الناس ودعوتهم إلى بارئهم سبحانه وتعالى.

وبالتتبّع تتّضح ماهيَّة حديث ((الإمام عليه السلام حين يتكلّم عن أيّ حيوان، فإنّه يبدأ بذكر فطرته وعاداته وطريقة تأمين حاجاته الضروريّة، ثمّ ينتقل إلى وصفه وصفًا خارجيًا، ثمّ إلى أجزائه وأعضائه الدراخليّة، وهي عمليّة راقية يتّبعها علماء الأحياء اليوم))[1]. ولنقف على بعض ما اتَّفق الحديث عنه من الحيوانات بين القرآن الكريم وكلام الأمير وهو الحديث عن النَّملة، فيمكن الإشارة إليها بوصفها أحد المصاديق العلميَّة للبحث في مجال الإعجاز العلميّ للقرآن الكريم.

(١) الإعجاز العلمي عند الإمام علي عليه السلام: ٨٠.

قال تعالى في قصَّة نبيِّ اللَّه سليمان عليه السلام وجنوده: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٨-١٩].

حديث النَّملة يدلُّ على أنَّ مجتمع النَّمل له أسلوب تفاهم ولغة خاصَّة، وتتفاهم مع بعضها بعضًا، والنَّمل يقوم بمشروعات جماعيَّة مثل مدّ الطرق، وإقامة الجسور، وبناء مستعمراته، والنَّمل هو الوحيد الذي يتلاقى في مجتمعات للتعاون وتبادل المنافع، وهو الوحيد الذي يهتمُّ بدفن موتاه، ممَّا يدلُّ على حياة منتظمة نشطة، لها كيان ودستور يحكمها في كلِّ سلوكها، ولغة النمل تكون بين النمل بوساطة الفيرمونات التي هي روائح كيميائيَّة لدى هذا الحيوان، يقيم سلوكه وتصرفاته، وهي مزودة بنظام متطوِّر من الغدد يتوزَّع على جميع أجزاء جسدها تعتبر مصدرًا للعديد من المواد الكيميائيَّة التي تستخدم في عمليَّات الاتِّصال، وتبادل المعلومات والرسائل بين مختلف أفراد المستعمرة، ومن أهمِّ إفرازات هذه الغدد تلك المادَّة الكيميائيَّة التي يتركها النمل على الأرض في أثناء سيره، التي تستخدم دليلًا للشغَّالات ليساعدها على تحديد اتِّجاهها في أثناء انتقالها من مكان إلى آخر؛ لذلك فهي تسمَّى عادةً (مادَّة أثر)، وتستخدم هذه المادَّة في زيادة نشاط الشغالات ودفعها إلى العمل[1]. ويتميَّز النمل بذكاء خارق، ويدلُّ على ذلك قيام النمل بعمليَّة فلق الحبوب قبل تخزينها في مخازن، حتَّى لا تنبت، والحبوب التي لا يستطيع فلقها فإنَّه يعمد إلى نشرها في الشمس، وأثبت العلم الحديث عندما استطاع تشريح جسم النملة ودراسة أجزائها دراسة تفصيلية، بالاستعانة بأجهزة الفحص الإلكترونيّ، فوجد أنَّها تمتاز بوجود مخّ عجيب، يتكوَّن مخّه من فصَّين

(١) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: ١٤٥.

رئيسينِ كمخِّ الإنسان، ومن مراكز عصبيَّة وخلايا إحساسيَّة كما في الإنسان، فإنّ وزن دماغ النملة وهو جزء من مئة من الغرام، وإنَّ دماغ الحوت أكبر بكثير بمئة ألف مرَّة من دماغ النَّملة، وعلى الرغم من ذلك فإنَّ النَّملة تقوم بمهامٍّ وأعمال ذكيَّة تتفوَّق على هذا الحوت، ويحوي دماغ النَّملة على ٣٠٠٠٠٠ خليَّة عصبيَّة[١].

ولم يغب عن أمير المؤمنين عليه السلام ما لهذا المخلوق من عجائب تدلُّ على عظمة خالقه سبحانه وتعالى، فتحدَّث عن تفاصيل ذلك المخلوق بما لم يكن مفصَّلًا في القرآن الكريم، فيقول سلام اللَّه عليه: ((انظروا إلى النَّملة في صغر جثَّتها ولطافة هيئتها، لا تكاد تنال بلحظ البصر، ولا بمستدرك الفكر، كيف دبَّت على أرضها، وصبت على رزقها، تنقل الحبَّة إلى جحرها، وتعدّها في مستقرِّها، تجمع في حرِّها لبردها، وفي ورودها لصدرها، مكفولة برزقها مرزوقة بوفقها، لا يغفلها المنَّان، ولا يحرمها الدَّيَّان ولو في الصَّفا اليابس والحجر الجامس، ولو فكَّرت في مجاري أكلها في علوها وسفلها وما في الجوف من شراسيف بطنها، وما في الرَّأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجبًا، ولقيت من وصفها تعبًا، فتعالى الَّذي أقامها على قوائمها، وبناها على دعائمها، لم يشركه في فطرتها فاطر، ولم يعنه في خلقها قادر، ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته، ما دلَّتك الدَّلالة إلَّا على أنَّ فاطر النَّملة هو فاطر النَّخلة، لدقيق تفصيل كلِّ شيء، وغامض اختلاف كلِّ حيّ، وما الجليل واللَّطيف والثَّقيل والخفيف، والقويّ والضَّعيف في خلقه إلَّا سواء))[٢].

في القوانين الثابتة الراسخة التي تشمل وتعمُّ جميع الخلائق على تباينها واختلافها حجمًا وطبيعة وشكلًا، وهل من تفسير معقول لهذه الوحدة إلَّا بإرادة حكيمة واحدة، وقدرة واحدة، وأنَّ خالق النملة هو خالق النخلة، كما قال الإمام، وكتب أهل الاختصاص كثيرًا عن النَّمل وتدبيرها وادِّخارها وتعاونها ونظامها المحكم في الاقتصاد والاجتماع، وكلّها تبعث الدهشة، وتدلُّ بوضوح على إرادة حكيم

(١) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: ١٤٦.
(٢) نهج البلاغة: الخطبة: ١٨٣.

قدير، وأعجب ما في النَّمل على الاطلاق ما حكاه سبحانه عن نملة سليمان، ومكان العجب أن تشفق هذه الذرَّة على قومها من بأس الجنود الذين جاسوا خلال الديار، وأن لا يشعر إنسان عاقل بآلام قومه، وأن يبيعهم بثمنٍ بخس لعدوِّه وعدوِّهم يمتصُّ دماءهم، ويسلب أقواتهم ويهلك الحرث والنَّسل[1].

وعند مطالعة ما يمكن أن يفهمه بعضٌ من عاش في القرن السَّابع الهجريّ من كلام أمير المؤمنين عليه السلام بالاعتماد على ما كان سائدًا في ذلك الزمن، منهم ابن أبي الحديد المعتزلي (ت: ٦٥٦هـ) لدى شرحه لهذه الفقرة من الخطبة فيقول: ((فأمَّا الحكماء، فإنَّهم لا يثبتون للنَّمل شراسيف ولا أضلاعًا، ويجب -إن صحَّ قولهم- أن يُحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام على اعتقاد الجمهور ومخاطبة العرب بما تتخيله وتتوهَّمه حقًا، وكذلك لا يثبت الحكماء للنَّمل آذانًا بارزة عن سطوح رؤوسها، ويجب -إن صحَّ ذلك- أن نحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام على قوَّة الإحساس بالأصوات، فإنَّه لا يمكن الحكماء إنكار وجود هذه القوَّة للنمل، ولهذا إذا صِيحَ عليهنَّ هربن))[2].

ويظهر من الكلام المتقدِّم أنَّ هناك نظريَّات وآراء حول طبيعة خلق النَّملة من قِبل ما أسماه المعتزليّ بالحكماء، ولكن يظهر أنَّ نظريَّاتهم لم تكن قائمة على دليلٍ علميٍ رصين كما هو الحال بالنِّسبة للنظريَّة التي طرحة أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك، القائمة على منظومة معرفيَّة لها صلتها الوثيقة بخالق النَّملة وغيرها؛ من هنا جاء حديث أمير المؤمنين عليه السلام بما يتوفَّق مع مكتشفات العصر الحديث، بعد أن صنعوا أجهزة البحث والتشريح، حتَّى بات معلومًا لدى القاصي والدَّاني تفاصيل أجزاء الحيوانات وأعضائها عبر أفلام مرئية دقيقة، فيتبيَّن سبق الإمام علي عليه السلام لبيان تلك الجزئيَّات يوم لم تكن تلك الأجهزة والأدوات مألوفة عندي بني البشر قاطبة.

(١) ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٣/ ٥٩.
(٢)شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٣/ ٦٣.

الخاتمة:

بعد الانتهاء من هذا البحث الذي تناول المنظومة المعرفيَّة لدى أمير المؤمنين عليه السلام وأثرها في بيان الإعجاز القرآنيّ، متوقفًا عن بعض مظاهر الإعجاز العلميّ، نصل إلى ذكر أبرز النتائج التي توصَّل إليها البحث، فنجملها على النحو الآتي:

١- حظي أمير المؤمنين عليه السلام برعاية إلهيَّة ونبويَّة خاصَّة، لأداء دوره في حفظ الرسالة العظيمة وإتمام عمليَّة التبليغ عن اللَّه عزَّ وجلَّ عبر المنظومة المعرفيَّة القائمة على مصدرها الربانيّ، وما لها من قابلية الاطِّلاع على الحقائق قبل اكتشافها بالطريق الكسبيّ.

٢- مضافًا للمعرفة القرآنيَّة والنبويَّة كان أحد مصادر منظومة أمير المؤمنين عليه السلام المعرفيَّة هو الإلهام والتحديث بالعلم والعمل الصواب.

٣- أشار البحث إلى سبب عدم إظهار علوم أمير المؤمنين عليه السلام في عصره؛ وذلك لقاصريَّة معاصريه ومقصِّريَّتهم وعدم أهليَّتهم في تلقِّي كلِّ العلوم، حتَّى حسِب بعضهم أنَّه عليه السلام يعلم الغيب، مع نفيه القاطع بعدم علمه الغيب بشكلٍ مستقلٍّ كما يعلمه اللَّه سبحانه وتعالى.

٤- شمول المعرفة العلويَّة لكلِّ ما يتعلَّق بمسائل الدِّين العقديَّة والفقهيَّة والأخلاقيَّة، وما يتعلَّق بمسائل الدُّنيا السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة وغيرها، من طريق إخباراته العلميَّة وتفصيل بعض مجملات الإعجاز القرآنيّ.

٥- تميَّز دوره عليه السلام في بيان كتاب اللَّه تعالى خاصَّة، فكان لأمير المؤمنين علي عليه السلام الدَّور الأعظم في إبراز إعجاز القرآن الكريم وتفسيره؛ لأنَّه شريك القرآن في عمليَّة تثوير دفائن العقول لإحياء جذوة الفهم في النفوس والتوصُّل إلى أفضل العلوم الحياتيَّة.

٦- تطرَّق البحث إلى بيان شمول القرآن الكريم للمجالات المعرفيَّة لدى الإنسان، وتحدَّدت مظاهر إعجازه العلميّ في مجالات محدَّدة، نحو: نشأة الكون وعالم الفلك وعالم الأرض وعالم الإنسان وعالم الحيوان والنبات، وكان لأمير المؤمنين عليه السلام وقفة علميَّة عند كلِّ مجال منها.

٧- اتَّبَع أمير المؤمنين عليه السلام أسلوب المنهج القرآنيّ في عرضه للحقائق العلميَّة عبر نصٍّ مكتنز الدَّلالات، يتناسب مع كلِّ عصرٍ ويفيد منه بحسب ما يمتلك من أدوات وقابليَّات لفهمه، فسدَّ حاجة ذلك الوقت بالمعلومات الكافية، وادَّخر فيه كنوزًا إلى أزمان وأقوام لاحقة.

٨- سايرت منظومة أمير المؤمنين عليه السلام العصور المتأخرة التي وظَّفت إمكانتها في الكشف عن الحقائق العلميَّة فأخبرت عنها من دون توافر الإمكانات، والأدوات المستعملة في البحوث العلميَّة المعاصرة.

٩- تبيَّن للبحث أنَّ مَن يطَّلع على علمه عليه السلام وإنْ لم يعرف منصبه الإلهيّ يصنِّفه على رأس قائمة عباقرة الأمم والحضارات في كلِّ العصور؛ لإسهامه في إنارة المعرفة الإنسانيَّة على مرِّ السنين.

١٠- اتَّضح أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يسبق عصره فيما أبداه من العلم فحسب؛ بل فاق ذلك حتَّى وصل سبقه إلى عصرنا وسيبقى سابقًا إلى ما شاء اللَّه تعالى، وكانت هذه النتيجة ملموسة بشكلٍ واقعيٍّ.

١١- استعمل أمير المؤمنين عليه السلام أروع التعابير في نصِّ خطابه، ممَّا جعله مألوفًا لدى إنسان ذلك العصر فلا يستوحشه، وينطبق تمامًا مع مكتشفات العصر الحديث.

١٢- بفضل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ومنظومته المعرفيَّة، بات المسلمون يفتخرون على غيرهم في السَّبق العلمي لبعض المكتشفات العصريَّة إلى التُّراث الإسلاميّ.

مصادر البحث ومراجعه

القرآن الكريم

١- الاختصاص، محمَّد بن محمَّد بن النعمان المذحجي العكبري المفيد (ت:٤١٣هـ)، تح: علي أكبر الغفاري، السيِّد محمود الزرندي، دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٢- الأصول من الكافي، أبو جعفر محمَّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت: ٣٢٩هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلاميَّة - طهران، ط٥، ١٣٦٣هـ ش.

٣- الإعجاز العلمي عند الإمام علي عليه السلام، لبيب بيضون، مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م .

٤- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، حميد النجدي، دار الأنصار، ط٣، ١٤٢٩هـ.ق- ٢٠٠٨م.

٥- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، محمَّد كامل عبد الصمد، الدار المصريَّة اللبنانيَّة، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٦- الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنَّة - تاريخه وضوابطه، عبد اللَّه بن عبد العزيز المصلح، ط٢، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٧- إعجاز القرآن والبلاغة النبويَّة، مصطفى صادق بن عبدالرزاق الرافعي، (ت ١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي، ط٨، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م.

٨- بصائر الدَّرجات، محمَّد بن الحسن بن فروخ الصفار (ت: ٢٩٠هـ)، تصحيح وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي، منشورات الأعلمي، ١٤٠٤هـ ق - ١٣٦٢ هـ ش.

٩- تأويلات أهل السُّنَّة، محمَّد بن محمَّد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، تح: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلميَّة - بيروت، ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٠- التفسير الكاشف، محمَّد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨١م.

١١- الدُّرُّ المنثور في التأويل بالمأثور، السيوطي؛ جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي(ت: ٩١١هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت .

١٢- السماء في القرآن الكريم، زغلول راغب النجار، دار المعرفة، بيروت، ط٥، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

١٣- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي (ت:٦٥٥هـ)، تح: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، ط٢، ١٣٨٥هـ، ١٩١٩م ٠

١٤- شرح نهج البلاغة، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحرانيّ (ت:٦٧٩هـ)، دار الثقلين، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

١٥- علم الإمام، محمَّد حسين المظفر (ت: ١٣٨١هـ)، دار الزهراء، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.

١٦- عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمَّد بن الحسن الصدوق (ت: ٣٨١ هـ)، تح: حسين الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤٠٤ - ١٩٨٦ .

١٧- في ظلال نهج البلاغة، محمَّد جواد مغنية، انتشارات كلمة الحق، ط١، ١٤٢٧هـ.

١٨- مجمع البحرين ومطلع النيرين، فخر الدين الطريحي (ت: ١٠٨٥هـ)، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفريَّة، ط٢، ١٣٦٢ هـ ش .

١٩- مستدرك سفينة البحار، علي الشاهرودي النمازي، (ت: ١٤٠٥هـ)، تصحيح وتدقيق: حسين بن علي النمازي، مؤسَّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين-قم، ١٤١٨هـ.

٢٠- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد اللَّه محمد بن عبد اللَّه الطهماني الحاكم النيسابوري، (ت: ٤٠٥هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٢١- معجزة القرآن، الشعراوي، محمَّد متولي (ت: ١٤١٨هـ)، المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.

٢٢- مفاهيم القرآن، جعفر بن محمَّد حسين التبريزي السبحاني، مؤسَّسة الإمام الصَّادق عليه السلام، قم، ط٤، ١٤٣١هـ.

٢٣- مقالات ودراسات، السيِّد جعفر مرتضى العاملي، المركز الإسلامي للدراسات، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢٤- مناظرة بين الإسلام والنصرانيَّة، مجموعة مؤلفين، الرئاسة العامَّة لإدارات البحوث العلميَّة والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ط٢، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م.

٢٥- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الميرزا حبيب اللَّه الهاشمي الخوئي(ت:١٣٢٤هـ)، تح: علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

٢٦- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمَّد راتب النابلسيّ، دار المكتبي، دمشق، ط٢، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٢٧- موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، محمَّد الريشهري، تح: دار الحديث، ط١ .

٢٨- موسوعة أهل البيت الحضارية، الإمام علي الرضا عليه السلام-قيادة الأمَّة وولاية العهد، محمَّد حسين علي الصغير، مؤسَّسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

٢٩- الميزان في تفسير القرآن، السيِّد محمَّد حسين الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ)، مؤسَّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرَّفة.

٣٠- نحو ثقافة إسلاميَّة أصيلة، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، ط٤، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٣١- نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، محمَّد عبده، دار الذخائر- قم، ط١، ١٤١٢هـ- ١٣٧٠ش.